سوق عكاظ

في الجاهلية والإسلام

تاريخه ونشاطاته وموقعه

تأليف

الدكتور/ ناصر بن سعد الرشيد



دار الأنصار

بالقاهرة

سوق عكاظ

في الجاهلية والإسلام

تاريخه ونشاطه وموقعه

تأليف

الدكتور/ ناصر بن سعد الرشيد



دار الأنصار

بالقاهرة



الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

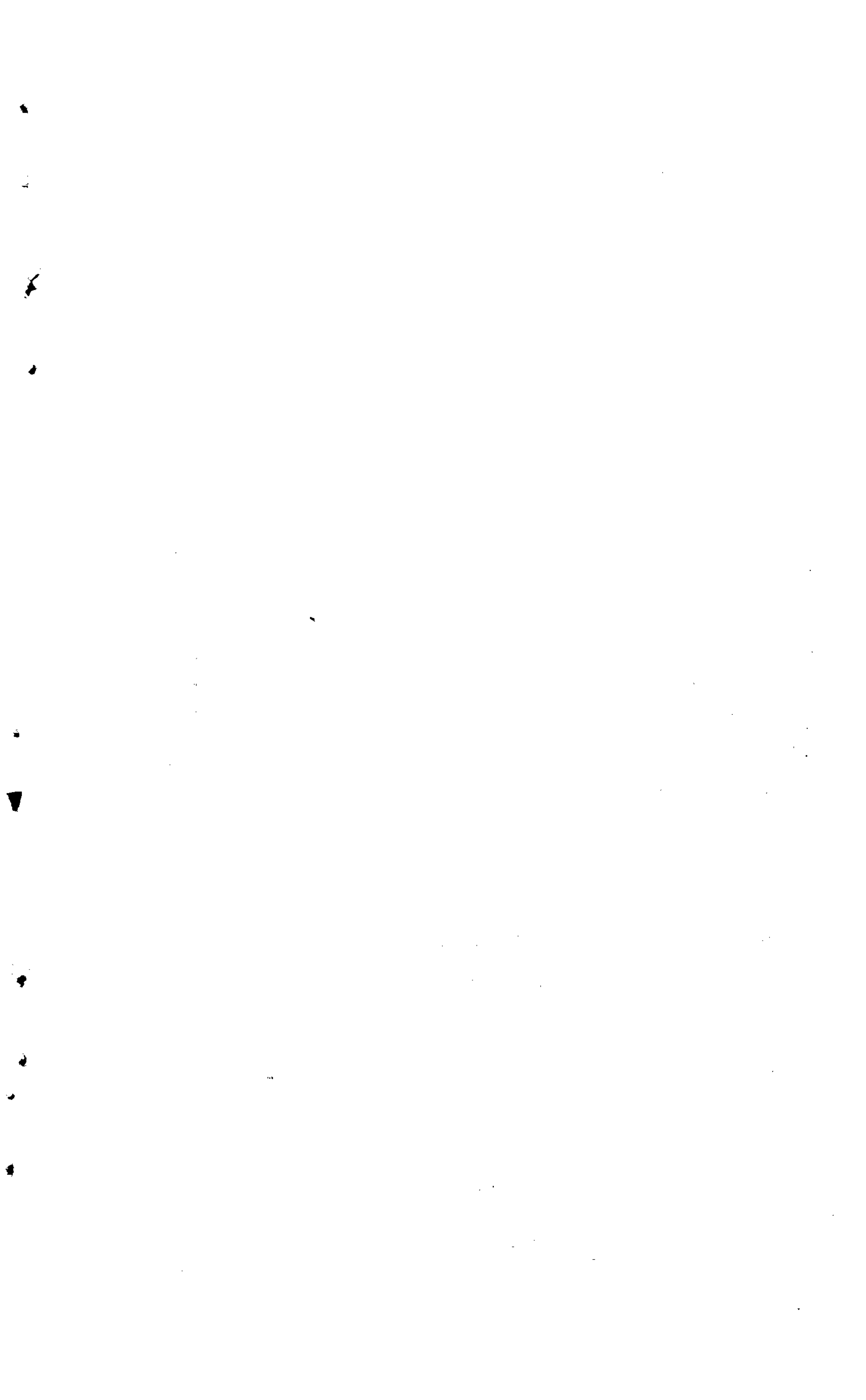
توزيع

دار الأنصار

مكتبة . طباعة . نشر . توزيع

٨١ ش البستان . ناصية ش الجمهورية

امام قسم عابدين ت ٩٣١٥٨١



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

أحسب أن من كتب بحثا فى عكاظ و نشاطاتها كان لزاما عليه أن يكتب فى أكثر من موضوع واحد ، فعكاظ وما يدور فيها من نشاطات . إن هى إلا جزء هام من تاريخ العرب فى جاهليتهم وآدابها ، وكان لزاما عليه أن ينهل من مصادر التاريخ والأدب وأسباب النزول وأحاديث رسول الله ﷺ ومعاجم البلدان إذ لا مندوحة لباحث عن ذلك ، وهذا وأيم الحق ما سلكت فى بحثى هذا فهو بحث نتج عن تنقيب طويل وتحر شاق أوصلانى إلى عدة آراء خرجت فيها عن الآراء التى تداولها أكثر الناس ، ولكنها لم تكن آراء مستعجل أو ضيرع، فلها ما يعضدها ويقويها إذ لا حياة لرأى دون عضد من نص أو قياس، وتنقيبي فى الكتب التى ذكرت عكاظ زودنى بنصوص كثيرة ، بعضها ذو دلالة واضحة ، وبعضها استخرجت دلالتها بالمناقيش والمجهر ، ولا أزعم العصمة فى آرائى فهي نتاج اجتهاد شخصى واستيعاب .

وما هدفى من هذه المقدمة إلا لأنبه القارىء على ما نهجته من نجد فى هذا البحث وخلاصة ذلك فيما يلى :

١ — درجت على رأى من لم يصرف كلمة «عكاظ» وما وجدت فى عكاظ مصروفا فإنما ذلك من استشهاد ليس فى ملكى أن أغيره، ولذلك عاملتها معاملة المؤنث لأن ذلك سبب عدم صرفها .

٢ — لم أجد فيما كتبت عنه من مواضيع اختلافا مثلما وجدت فى عكاظ وتاريخها و نشاطاتها وموقعها ، ومعظم هذه الاختلافات قابل للتوفيق ، ولقد حرصت أشد الحرص على التوفيق بينها ما وسعنى ذلك ، أو الترجيح إن لم يسعنى .

٣ — وجدت فى نصوص «عكاظ» ماله أكثر من دلالة فأوردت النص مراراً لدلالات مختلفة ، وهذا لا يعد فى رأيى تكراراً مادام الاستشهاد بالنص لدلالة مختلف عن الاستشهاد به قبل ذلك ، ولقد حرصت على اجتزاء بعض النصوص حتى تؤدى ما أريد بها من دلالة اجتزاء لا يبتر النص حتى لا يفهم ، وذلك قصداً للاقتصاد وتجنبا للإطناب ، فالبحث الحق — كما أفهمه — هو ما يعالج قضايا معينة بأسلوب مختصر مفيد لا حشو فيه ولا فضول .

٤ — حاولت أن أرتب الأبواب ترتيبا تاريخيا أو منطقيا ، وقدمت بعض الفصول التى رأيتها أكثر أهمية على الفصول الهامة واستحضرت حينئذ الحياة الجاهلية وأهمية ذلك لها بغض النظر عن أهمية ذلك لنا فى هذا العصر .

وأخيرا فإنى أشكر كل من شجعنى فى هذا البحث أو أوحى إلى به أو قدم لى أية معونة علمية أو اقتراح بناء ، وأخص منهم العاملين فى مكتبة الحرم الشريف فقد كانوا نعم العون لى ، والدكتور مايكل كاوتر رئيس قسم اللغة العربية بجامعة سدنى الذى سمح لى بالاستفادة من مكتبته القيمة إذ أنى أكملت — مضطراً — أجزاء من هذا البحث بسدنى يوم أن كنت معاراً للتدريس بجامعتها ، وما توفيقى إلا بالله .

الدكتور ناصر بن سعد الرشيد

٦/٤/١٣٩٦ هـ

٥/٤/١٩٧٦ م

دراسة تاريخية لسوق عكاظ

اشتقاق اسم عكاظ :

من المستحسن أن نبدأ بالكتابة عن سبب تسمية هذا السوق بعكاظ، فإن بين تسميتها وبين ما يدور فيها من نشاطات صلة قوية فقد اشتق اسمها من المعاكظة وهى المحاجة فى المفاخرة التى كانت إحدى نشاطات ذلك السوق، ولقد تحدث عن ذلك اللغويون فالخليل بن أحمد مثلا يقول :(١) « وسمى به لأن العرب كانت تجتمع فيه كل سنة فيعكظ بعضهم بعضا بالمفاخرة والتناشد : أى يدعك ويعرك، وفلان يعكظ خصمه بالخصومة : يمعكه » ويقول ابن دريد :(٢) « عكظت الرجل أعكظه عكظا إذا رددت عليه وقهرته بحجتك وعكاظ بهذا سمى، وهو موضع لمواسم العرب كانوا يتعاكظون فيه بالفخر » ويقول ابن سيدة :(٣) « عكظ دابته يعكظها : حبسها . وعكظ الشىء يعكظه : عركه، وعكظ خصمه يعكظه عكظا : عركه وقهره، وتعاكظ القوم : تعاركوا وتفاخروا » ويقول الليث :(٤) « سميت عكاظ لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضا بالمفاخرة أى يدعك، وعكظ فلان خصمه باللدد والحجج عكظا » . وينقل ياقوت عن السهيلى قوله :(٥) « كانوا يتفاخرون فى سوق عكاظ إذا اجتمعوا، ويقال : عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة فسميت عكاظ بذلك » ثم يضيف(٦) : وقال غيره : « عكظ الرجل دابته

(١) كتاب العين : ١ — ١٢٢

(٢) الجمهرة : ٣ — ١٢٠

(٣) المحكم : ١ — ١٥٩

(٤) لسان العرب : ٧ — ٤٤٧، ومعجم البلدان : ٤ — ١٤٢

(٥)، (٦) معجم البلدان : ٤ — ١٤٢

يعكظها عكظا إذا حبسها ، وتعكظ القوم تعكظا إذا تحبسوا ينظرون فى أمورهم ، قال وبه سميت عكاظ » ويقول الزمخشرى(٧) : « وعكاظ متسوق للعرب كانوا يجتمعون فيه فيتناشدون ويتفاخرون . . . ومنه قالوا تعكظوا فى مكان كذا إذا اجتمعوا وازدحموا ، قال عمرو بن معد يكرب :

ولكن قومى أطاعوا الغوا ة حتى تعكظ أهل الدم

ومن هذه النصوص نرى أن عكاظ استمدت اسمها إما من المفاخرة والمحاجة وإما من التجمع والازدحام أو مما هو قريب من تلك المعانى ، وذلك سمات سوق عكاظ البارزة .

وكما شغلت لفظة « عكاظ » اللغويين فقد شغلت النحويين فنظروا إليها وهم مختلفون من ناحية صرفها وعدمه وأدلى كل فريق بعلته مستندا على ماقيل فيها من شعر وخلاصة القول ما قاله اللحيانى(٨) : « أهل الحجاز يجر ونها وتميم لا تجريها ، قال أبو ذؤيب :

إذا بنى القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف

متى وأين كان يقوم السوق :

إن ما لدينا من نصوص فى هذا الموضوع اختلف قائلوها فاختلفت مدلولاتها ، ويمكن أن نلخص هذه الدلالة كما يأتى :

١ — نصوص تجعله فى ذى القعدة دون أن تحدد ما يستغرقه من مدة

(٧) أساس البلاغة : ٦٤٩
(٨) المحكم : ١ — ١٥٩

ودون أن تجعله فى أول الشهر أو فى آخره ، يقول شارح ديوان الهذليين وهو يشرح هذا البيت :

إذا بنى القباب علـى عكاظ   وقام البيـع واجتمع الألوف

« كانت السوق تقوم بعكاظ فى ذى القعـدة ، يقول : حين يأتى الناس عكاظ فى ذى القعدة لسوقهم ، وكانوا يأتونها قبل الموسم فى ذى القعدة يرجعون منها إلى موسمهم »[٩] ويقول اليعقوبى[١٠] : « ثم سوق عكاظ بأعلى نجـد يقوم فى ذى القعدة » . وهناك نصوص أخرى تجعله فى ذى القعدة ولـكنها تتفاوت فى المدة التى يستغرقها السوق من ناحية وفى أى جزء من الشهر من ناحية أخرى ، فهناك من يقول إنه كان يقام فى النصف الأخير من ذى القعدة كابن حبيب مثلا حين يقول[١١]: « وكانتا [سوق الرابية بحضر موت وعكاظ] تقومان فى يوم واحد : للنصف من ذى القعدة إلى آخــر الشهر » ويقول المرزوقى[١٢] : « وكانت عكاظ من أعظم أسواق العرب وكانت قريش . . . وطوائف من أفناء العرب ينزلونها فى النصف من ذى القعدة فلا يبرحون حتى يروا هلال ذى الحجة فإذا ما رأوه انقشعت » .

وهناك من يرى أن سوق عكاظ كانت تقام فى أول ذى القعدة ، يقول البـكرى[١٣] : « فـكان سوق عكاظ يقوم صبح هلال ذى القعدة عشرين يوما . وسوق مجنــة يقوم عشرة أيام بعده وسوق ذى المجـاز يقوم هـلال

---

(٩) ١ — ١٨٣
(١٠) تاريخ اليعقوبى : ١ — ٢٧٠
(١١) المحبر : ٢٦٧
(١٢) الأزمنة والأمكنة : ٢ — ١٦٥
(١٣) معجم ما استعجم : ٣ — ٩٥٩

ذى الحجة » ويقول ابن عبد ربه[١٤] : « وكانت سوق عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القعدة » ويقـول صاحب القاموس[١٥] : « عكاظ كغراب : سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة ، وتستمر عشرين يوماً » ويقـول النويرى[١٦] : « وكانت سوق عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القعدة فيتسوقون إلى حضور الحج » ويقول الزمخشرى[١٧] : « كانت موسماً من مواسم الجاهلية تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوماً » ويذكر صاحب تهذيب تاريخ ابن عساكر أن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال[١٨] : « وكانت لنا ثلاثة أسواق سوق بعكاظ يقوم صبح هلال ذى القعدة فيقوم عشرين يوماً ، ويحضره العرب . . . » .

٢ — نصوص تجعلها فى شهر شوال ، وليس فى ذى القعدة ، يقـول القزوينى[١٩] : « فكانت العرب ، إذا أرادت الحج أقامت بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذى القعدة ، ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز فتقيم فيه إلى الحج» ويقول ابن حجر[٢٠] : «وكانوا يقيمون به [عكاظ] جميع شهر شوال . . . ثم يأتون مجنة فيقيمون بها عشرين ليلة من ذى القعدة ، ثم يأتون ذا المجاز وهو خلف عرفة فيقيمون به إلى وقت الحج» ويقول ياقوت[٢١]: «قالوا : كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال

---

(١٤) العقد الفريد : ٦ — ٨٩
(١٥) ٢ — ٣٩٦
(١٦) نهاية الأدب : ١٥ — ٤٢٥
(١٧) تاج العروس : ٥ — ٨٧
(١٨) ٤ — ٤١٤
(١٩) آثار البلاد : ٨٥
(٢٠) فتح البارى : ٨ — ٦٧١
(٢١) معجم البلدان : ٤ — ١٤٢

ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذى القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج »

٣ — نصوص تفيد أن عكاظا كان يقام أياما كل عام دون أن تحدد الشهر الذى يقام فيه ، فيقول ابن الأثير مثلا[٢٢] : « عكاظ وهو موضع بقرب مكة كانت تقام به فى الجاهلية سوق يقيمون فيه أياما » ويقول السيوطى نفس القول فى حاشيته على ابن الأثير[٢٣] .

ومما تقدم من نصوص تبين لنا أن من كتبوا عن عكاظ افترقوا على أربع فئات : فئة ترى أن مدة إقامته خمسة عشر يوما ، وفئة ترى أنها عشرون يوما ، وثالثة وهى التى ذكرت أنه كان يقام فى شهر شوال ترى أنه شهر كامل ، وقد وافقهم كل من الخليل بن أحمد والأزهرى ولكنهما لم يذكرا الشهر ، يقول الخليل[٢٤] : « عكاظ : اسم سوق عكاظ كانت العرب تجتمع فيها كل سنة شهراً » ويقول الأزهرى[٢٥] : « كان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهراً . . . » ورابعة ترى أنه يقوم قرابة الشهر أو يزيد ويبدأ من أول ذى القعدة حتى يحين الحج ، يقول ابن عبد ربه[٢٦] : « وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذى القعدة إلى وقت الحج » : ويقول النويرى[٢٧] : « وكانت سوق عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القعدة فيتسوقون إلى حضور الحج » .

---

(٢٢) النهاية فى غريب الحديث : ٣ — ١٢٠
(٢٣) لدر النثير : ٣ — ١٢٠
(٢٤) كتاب العين : ١ — ١٢٢
(٢٥) لسان العرب : ٧ — ٤٤٨
(٢٦) العقد الفريد : ٦ — ٨٠
(٢٧) نهاية الأرب : ١٥ — ٤٢٠

ولو أردنا أن نرجح بين هذه الآراء المتباينة لكان الفيصل في رأيي هو ما نقل عن شخص كان يرتاد عكاظ يبيع فيه ويشترى وهو الصحابى الجليل حكيم بن حزام رضى الله عنه فقد روى عنه كما رأيت سالفاً أنه كان يقول : « وكانت لنا ثلاثة أسواق سوق بعكاظ يقوم صبح هلال ذى القعدة فيقوم عشرين يوما » . ومع اقتناعى بأن القول ماقال حكيم إلا أننى لا أرى بأساً فى مناقشة من زعم أنه كان يقام فى شهر شوال فأقول : إن من كتب عن عكاظ أو ذكرها عرضاً أو أشار إلى حادثة فيها يكادون يجمعون على أنها كانت تقام فى الشهر الحرام ، وإليك أمثلة لذلك . يقول شارح ديوان الهذليين فى معرض حديثه عن قيس بن العجوة الهذلى وأبى تقاصف الخناعى حينما تباهلا [٢٨] . « فأمهله قيس بن العجوة حتى دخل الشهر الحرام ونزل الناس عكاظ فقام قائماً فبهله » وقال أبو عبيدة[٢٩] : « كانت الفرسان إذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام أمن بعضهم بعضاً ... » ويذكر كل من كاتبى السيرة ابن هشام [٣٠] وابن كثير[٣١] أن البراض وثب على عروة الرجال فقتله فى الشهر الحرام والناس فى عكاظ فلذلك سميت الحروب التى نشبت بسبب تلك الحادثة حروب الفجار . ويقول ابن الأثير عن زهير بن جذيمة العبسى إنه « خرج فى أهل بيته فى الشهر الحرام إلى عكاظ[٣٢] ، ويؤكد شارح ديوان الهذليين مرة أخرى أن عكاظا لا يقوم إلا فى الشهر الحرام فيقول[٣٣] : « وكانت [عكاظ] سوقا

---

(٢٨) ٢/٩٠٤ — ٩٠٥
(٢٩) الفاخرة : ٢٥٧
(٣٠) ١ — ١٨٦
(٣١) ١ — ٢٠٠
(٣٢) الكامل : ١ — ٥٠٧
(٣٣) ١ — ٤٨

لا تقوم إلا فى الأشهر الحرم » ويقول التوحيدى(٣٤) : « ثم يرتحلون إلى عكاظ وذى المجاز فى الأشهر الحرم » ويذكر ابن عبد ربه أن عكاظ سوق تقوم فى الأشهر الحرم فى ثلاث مناسبات فى رواية عن أبى عبيدة أن الفرسان كانوا يتقنعون فى عكاظ وفى حادثة قتل بن قيس زهير العبسى لابن الخمس قاتل الحارث بن ظالم وفى ذكر وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الرسول لهم يذكر قس بن ساعدة : « ما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب الناس »(٣٥) ويقـول القلقشندى :(٣٦) : « ثم يرتحلون إلى عكاظ فى الأشهر الحرم » وهناك نصوص غير هذه لهـا نفس المدلول ، واذا أضفنا إلى هـذه النصوص أن الأشهر الحرم هى : ذو القعـدة وذو الحجـة ومحرم ورجب(٣٧) أمـكننـا استبعاد احـتمال إقامة سوق عـكاظ فى شهر شـوال ومن ثم تبين لنا أن ذا القعـدة هو شهر عكاظ .

ومهما بلغ الاختلاف فى أى شهر كان يقام هذا السوق وفى مدته فإن الجمع بين هذه الاختلافات ممـكن ، وخير من تطرق إلى ذلك صاحب كتاب « أسواق العرب » حيث قال(٣٨) : « ويمـكن جمع الأقوال المتقـدمة بأن عكاظ تحتفل بالناس فى شوال ويتم تقاطرهم إليها فى ذى القعدة : الزمن الرسمى للسوق ، وحين تذهب جماعاتهم إلى مجنة فى العشرين من ذى القعدة يتخلف

---

(٣٤) الامتاع والمؤانسة : ١ — ٨٥
(٣٥) العقد الفريد : ٦ — ٥٦ ، ١٤ ، ١٨٦
(٣٦) صبح الأعشى : ١ — ٤١١
(٣٧) نفس المصدر : ٢ — ٣٧٧
(٣٨) أسواق العرب : ٢٩٠

كثير ممن لم يكن أنهى بيعه وشراءه فلا يتم خلو السوق تماما إلا في غرة ذي الحجة عند اقتراب الحج » .

ووقت سوق عكاظ في تصوري يختلف باختلاف أحوال العرب أنفسهم واختلاف حسابهم وخاصة بعد أن شرعوا النسيء وأقروه (وهو : أن يحجوا في كل شهر عامين يحجون في المحرم عامين وفي صفر عامين وفي ربيع الأول عامين ، وهكذا) .

ذلك أن سوق عكاظ لا بد من تأثر إقامته بشهور الحج لأن هذا السوق هو في الحقيقة تهيؤ للحج(٣٩) فعلى هذا فقد تتأخر إقامته طبقاً لشهر الحج فيسبقه بشهر ويقوم عشرين يوما أو نحوها ، وقد غفل من تعرض لهذا الموضوع عن ملاحظة هذا ماعدا ابن حبيب الذي أشار إليه إشارة واضحة فقال(٤٠) : « فإن كان الحج في المحرم قام سوق عكاظ صبيحة ذي الحجة فتقوم عشرين يوما بعكاظ » ، كما أن ظروف الحرب والمنازعات قد تتحكم في نشاط هذا السوق بل وفي إقامته ، فقد تضطرهم إلى إيقافه سنة معينة لأنها سنة حرب ثم استئنافه من قادم ، وهذا ماحدث سنة حرب الفجار الأولى بين كنانة وقيس بسبب غدر البراض ، ولأن قريشاً كانت تعرف أن الحرب إن نشبت بينها وبين قيس فسيوقف السوق قالت لأبي البراء عامر بن مالك تعرض عليه التريث حتى تقام السوق : « لا ينصرفن ولم تقم السوق وقد ضربوا آباط الإبل من كل موضع »(٤١) .

---

(٣٩) العقد الفريد : ٦ — ٨٩

(٤٠) المنمق : ٢٧٤

(٤١) نفس المصدر : ١٩٨

وتقوم سوق عكاظ بمكان يقال له الأثيداء(٤٢) يكاد يجمع على ذلك من كتب عن عكاظ من أصحاب معاجم البلدان ، إلا أن هنـاك من يزعم أن عكاظ تطلق على السوق وأنه «من إضافة الشيء إلى نفسه» وهو ابن التين(٤٣) فعلى هذا يجب أن يكون عكاظ مكاناً صغيراً محدوداً ، وقد تصدى للرد على صاحب هذا الرأى ابن حجر الذى يرى أن السوق يقام بالأثيداء فقال(٤٤): « وعلى ماتقدم من أن السوق كانت تقـام بمـكان يقال له الأثيداء لا يـكون كذلك » .

متى بدأت ومتى انتهت :

ليس من السهل جداً أن نتعرف على الأحداث وسنيها فى العصر الجاهلى بدقة ومنها بداية سوق عكاظ ، بيد أن هناك تاريخاً ذكره البـكرى وتبعه من أتى بعده دون نقاش أو نظرة فاحصة إلى أحداث عكاظ ، وهو أنهـا اتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة(٤٥) ، ومن تتبع أحداث عـكاظ — كما فعلت — فقد يتبين له أن سوق عكاظ كان قائماً قبل ذلك التاريخ ، ولدى بعض نصوص وإن كنت لا أزعم أن دلالتها قطعية قد تخلخل رأى البكرى إن لم تثبت أن السوق كان قائماً قبل تاريخ البـكرى ، وأرى من ضرورات البحث العلمى الدقيق أن أثبتها وأبين مدلولاتها ، فمن هذه النصوص مالفت نظر غيرى ومنها ما لم يلفت إلا نظرى . أما النـــوع الأول من النصوص

---

(٤٢) بلاد العرب : ٣٢ ومعجم البلدان : ٤ — ١٤٢ وبلوغ الأرب : ١ — ١٩١
(٤٣) فتح البارى : ٨ — ٦٧١
(٤٤) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٤٥) معجم ما استعجم : ٣ — ٩٥٩

فقد فطن لها صاحب أسواق العرب فى طبعته الثانية وجعلها حاشية وهى (٤٦) .

١ — هناك حديث صحيح يفيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينبل على أعمامه فى حروب الفجار وعمره أربع عشرة سنة أى بعد الفيل بأربع عشرة سنة فتكون الفجار ونبل الرسول فيها قبل وجود عكاظ وهو تناقض بين .

٢ — المرأة التى باعت أنحاء السمن بعكاظ تزوجت بعد ذلك بعبد شمس(٤٧) .

٣ — عمرو بن كلثوم الذى أنشد قصيدته فى عكاظ عاش حوالى سنة ٥٠٠ م ، ثم قال أيضاً : « وإذا أضفت إلى هذا مافطن له الأستاذ أحمد أمين (الرسالة : السنة الأولى : العدد ١٣ ص ٢٥) فى بحثه عن عكاظ والمربد من أن المرزوقى عد عشرة ولوا القضاء بعكاظ قبل الإسلام ، استظهرت أن السوق مضى على إنشائها زمن قبل أن تصير فيه هذه الأحداث كلها » .

أما مالفت نظرى من نصوص تفيد أن أحداثها ترتفع إلى ماقبل خمس عشرة سنة من عام الفيل فكما يأتى :

١ — قال البكرى(٤٨) : « قال الهمدانى : كانت ديار ربيعة وتهامة

---

(٤٦) أسواق العرب : ٣٤٢ — ٣٤٣

(٤٧) قصة هذه المرأة ستأتى كاملة فى مكان ملائم

(٤٨) معجم ما استعجم : ٢ — ٥٦٨ — ٥٦٩

الحمى واليمامة ، فرحلت عنها خوف قرمل بن عمرو الشيبانى الذين بعثه ذو نواس لينتقم من عبد القيس لاعتراض بعضهم مارية بنت ثوب الحميرية بعكاظ وعقلها أحدهم برجله فسقطت فضحكوا فنادت : واغربتاه ! قال امرؤ القيس يذكر هذه الغزوة :

وكنا ملوكا قبل غزوة قرمل ... ورثنا العلا والمجد أكبر أكبرا

هذه الحادثة التى كانت فى عكاظ فى عهد ذى نواس والذى أتى امرؤ القيس فذكرها فى شعره تدل على أن عكاظ كان قبل خمس عشرة سنة من عام الفيل، وإذا كان إنشاء عمرو بن كلثوم معلقة فى عكاظ قد جعلت صاحب أسواق العرب يشك فى تاريخ البكرى للسوق فكيف بقصيدة امرىء القيس التى سجلت حادثة وقعت فى عكاظ وهو لاشك أقدم من عمرو بن كلثوم .

٢ — ذكر المرزوقى أن عامر بن جوين بن عبد الرضا رفعت له راية غدر فى صنيعه بامرىء القيس بن حجر فى وجهه إلى قيصر[٤٩] ، هذه الحادثة أيضا فى زمن امرىء القيس ، وعامر بن جوين جاهلى قديم ذكره القالى وقال إنه وفد على النعمان بن النعمان الأكبر جد النعمان بن المنذر[٥٠] .

٣ — روى عن أعشى همدان أنه قال : « خرج مالك بن حريم الهمدانى فى الجاهلية ومعه نفر من قومه يريد عكاظا ...[٥١] والأحداث التى اقترنت بايراد هذا النص تفيد قدمها وأن مالك بن حريم كان جاهليا قديما أى قبل خمس عشرة سنة من عام الفيل ، ومن قدر له أن يقتفى نسب مالك أيقن أنه أقدم من عام الفيل ، وتفصيل ذلك عند ابن حزم فارجع إليه[٥٢] .

---

(٤٩) الأزمنة والأمكنة : ٢ — ١٧٠
(٥٠) الأمالى (بولاق) : ٣ — ١٧٩
(٥١) معجم البلدان : ١ — ١٤٨
(٥٢) جمهرة أنساب العرب : ٣٩٤ — ٣٩٥

٤ — قال محمد بن جبير بن مطعم . « كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة وبناء الكعبة بعشر سنين والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة »[٥٣] والمقصود بعكاظ هنا يوم عكاظ ، ويوم عكاظ الذى قرنه المؤرخون بشهود النبى صلى الله عليه وسلم له لم يتم فى أول سنة اتخذت عكاظ سوقا ، والتاريخ الذى ذكره ابن مطعم وجعل يوم عكاظ فيه هو نفس التاريخ الذى جعله البكرى أول سنة اتخذ فيها عكاظ سوقا ، فعلى هذا فان هذا النص يدلنا على أن عكاظ كان قد اتخذ سوقا قبل خمس عشرة سنة من عام الفيل ، وهذا النص قد يجرنا إلى التحرى عن سنة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الأقوال المتضاربة وقد أزمعت فعل ذلك ولكنى اكتشفت أن صاحب أسواق العرب — جزاه الله خيرا — قد كفانى مؤونة ذلك فارجع إليه إن شئت[٥٤] .

٥ — قال الميدانى فى قصة المثل : « الحديث ذو شجون »[٥٥] : « أول من قال هذا المثل ضبة بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل فوجه ابنيه فى طلبها فتفرقا فوجدها سعد فردها ومضى سعيد فى طلبها فلقيه الحارث بن كعب وكان على الغلام بردان، فسأله الحارث إياهما فأبى فقتله وأخذ برديه ، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد؟ فذهب قوله مثلا يضرب فى النجاح والخيبة فمكث ضبة ماشاء الله أن يمكث ثم إنه حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردى ابنه سعيد فعرفهما ، فقال له : هل أنت مخبرى ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته إياهما فأبى على فقتلته وأخذت برديه

---

(٥٣) السيرة النبوية لابن كثير : ١ — ٢٠٢
(٥٤) أسواق العرب ١٦٤ — ١٦٥
(٥٥) مجمع الأمثال : ١ — ١٩٢ — ١٩٨

هذين ، فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم ، فقال : فأعطنيه أنظر إليه فإنى أظنه صارما فأعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه ، وقال الحديث ذوشجون ثم ضربه به حتى قتله ... فى هذا النص شخصيتان عاشتا لاشك فى زمن أقدم كثيرا من عام الفيل وحضر تاعكاظ هما ضبة أبو قبيلة ضبة والحارث بن كعب الذى تنتمى إليه قبيلة الحارث بن كعب ، ومن ألقى نظرة على نسب ضبة رأى أن مضر جده الرابع ، ومن جده الرابع مضر فقد عاش لاشك سنين قبل عام الفيل .

٦ — قال الميدانى أيضا قصة المثل « أحمق من أبى غبشان »(٥٦) :
كان من حديثه أن خزاعة حدث فيها موت شديدورعاف عمهم بمكة فخرجوا منها ونزلوا الظهران فرفع عنهم ذلك ، وكان فيهم رجل يقال له حليل ابن حبشية ، وكان صاحب البيت وكان له بنون وبنت يقا لها حبي وهى امرأة قصى بن كلاب فمات جليل وكان أوصى ابنته حبي بالحجابة وأشرك معها أبا غبشان الملكانى فلما رأى قصى بن كلاب أن جليل قد مات وبنوه غيب المفتاح فى يد امرأتة طلب إليها أن تدفع المفتاح إلى ابنها عبد الدار بن قصى وحمل بنيه على ذلك ، فقال . اطلبوا إلى أمكم حجابة جدكم ولم يزل حتى سلمت له بذلك ، وقالت : كيف أصنع بأبى غبشان وهو وصي معى ؟ فقال قصي : أنا أكفيك أمره فاتفق أن اجتمع أبوغبشان مع قصي فى شرب بالطائف ، فخدعه قصى عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر وأشهد عليه ودفع المفاتيح إلى ابنه عبد الدار بن قصي .

قبل أن نستبين دلالة هذا النص على أن سوق عكاظ كان قائما قبل خمس عشرة سنة من عام الفيل يجب أن ننبه إلى أن « شربا » مكان اجتماع قصى

---

(٥٦) نفس المصدر والجزء : ٢١٦

وأبى غبشان من عكاظ وقد وقع فيه يوم من أيام عكاظ عرف بيوم شرب(٥٧) ، وإذا ماعرفنا أن عام الفيل كان فى عهد عبد المطلب(٥٨) وقصى جد عبد المطلب أمكننا أن نستبين أن عكاظ كان قائما قبل عام الفيل بسنين .

٧ — قال البكرى(٥٩) : « وكان حنظلة بن نهد من أشراف العرب له منزلة بعكاظ فى مواسم العرب وبتهامة والحجاز ولذلك يقول قائلهم :

حنظلة بن نهد   خير ناس فى معد

وقال فى موضع آخر(٦٠) : « وكان حنظلة بن نهد صاحب فتاحة تهامة وصاحب العرب بعكاظ حين تجتمع فى أسواقها فتحول ذلك إلى كلب بن وبرة فكان أول كلبى جمع كلبا وضربت عليه القبة » .

يفهم من النص الأول أن حنظلة وهو قديم كان يحضر عكاظ بمعنى أن عكاظ كان قائما فى زمن تحديد البكرى له ، ويفهم من النص الثانى أن حنظلة كان صاحب العرب فى عكاظ وجميع الكتب التى أوردت حكام عكاظ من عامر ابن الظرب إلى الأقرع بن حابس لم تذكر أن كلبا كانت تحكم فى عكاظ ، فعلى هذا فمكانة حنظلة فى عكاظ كانت سابقة لمكانة عامر بن الظرب الذى قلنا سابقا أنه كان يحكم فى عكاظ قبل خمس عشرة سنة من عام الفيل ، ويدلنا على قدم حنظلة أنه ابن نهد الذى تنتسب إليه قبيلة نهد اليمنية ونهد

---

(٥٧) صفة جزيرة العرب : ٢٢٦ ، معجم ماستعجم : ٣ — ٩٦١
(٥٨) سيرة ابن هشام : ١ — ٤٨
(٥٩) معجم ماستعجم : ١ — ٣٤
(٦٠) نفس المصدر والجزء : ٥١

أخو جهينة التى تنتسب إليها قبيلة جهينة ، يقول ابن حزم(٦١) « نهد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة ، ولد نهد بن زيد : مالك وصباح وحزيمة وزيد ومعاوية وكعب وأبو سودة وعامر وعمرو وحنظلة حاكم العرب » .

٨ — قال ابن دريد(٦٢) : « وحدثت أن سعد (بن زيد مناة) بعث بنيه فى رعاية إبله فأبوا فبعث ببنى مالك بن زيد مناة فسرقوا إبله ، فلما رأى ذلك اتخذ المعزى وقال لابنه هبيرة : ارعها فقال : « لا أسرح فيها حتى يحن الضب فى إثر الإبل الصادرة ، فقال لعبشم : ارعها ، فقال لا أرعاها : سبعين خريفا ، فقال لآخر منهم : ارعها ، قال لا أرعاها ألوة أبى هبيرة » أراد يمين أبى هبيرة ، فانطلق سعد بشأنه إلى عكاظ فقال : ألا إن معزى الفزر نهب جدع الله أنف رجل أخذ أكثر من شاة ! فتفرقت فى العرت فصارت مثلا لمالا يدرك » .

وإذا عرفت أن تميم التى تنتسب إليها قبيلة تميم هى جدة سعد أدركت أن سعداً عاش قبل الفيل بعشرات السنين ومن ثم أدركت أن سوق عكاظ كان قائما قبل عام الفيل وأعجب من ذلك كله أن سعدا هذا كان أحد حكام سوق عكاظ الذى جمع لنفسه الموسم والقضاء بعد أن كان يتولاها رجلان (٦٣) .

١٩ — قصة المثل « أوفى من عوف بن محلم »(٦٤) وخلاصتها : أن

---

(٦١) جهرة أنساب العرب : ٤٤٦ .
(٦٢) الاشتقاق : ٢٤٥ .
(٦٣) شرح ديوان جرير (لابن خجيب) : ٢–٨٢٥ والمحبر ١٨٠ .
(٦٤) تفصيل القصة فى مجمع الأمثال : ٢–٣٧٥–٣٧٦ .

مروان القرظ اشترى خماعة بنت عوف بن محلم من آسريها » عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء فحملها فى الشهر الحرام إلى عكاظ لمنازل بنى شيبان فعرفت منازل قومها وقبة أبيها عوف فانطلقت إلى أبيها وأخبرته بصنيع مروان فكان هذا الصنيع يداً لمروان بن عوف ، فوجد عمرو بن هند على مروان القرظ فبعث إلى عوف أن يأتيه به فقال له . إن ابنتى قد أجارته فقال عمرو بن هند « لا حر بوادى عوف » .

فى قصة هذا المثل شخصيتان عوف بن محلم وعمرو بن هند كلاهما قبل عام الفيل ، فأولهما عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل ، من هذه السلسلة ترى أن شيبان الذى تنتسب إليه القبيلة المشهورة كان أجد أبيه ، ومن كان كذلك كان لاشك قبل عام الفيل، وولد عوف بن محلم : أبو عمرو ومالك وأم أناس التى زوجها لعمرو بن آكل المرار فولدت له الحارث الملك (وهو جد امرىء القيس) [٦٥] وعمرو بن آكل المرار كان قبل عام الفيل ، وثانيتهما عمرو بن هند الملك وعلاقته بسوق عكاظ فى قصتين : قصة إلقاء عمرو بن كلثوم معلقته بعد قتله مباشرة [٦٦] وقصته هذه مع مروان القرظ وعوف بن محلم ، ويبدو لى والحالة هذه أن من تمام البحث أن نثبت أن ملك عمرو بن هند كان قبل خمس عشرة سنة من عام الفيل ومن نقب فى كتب التاريخ فإنه لا شك سيجد مايدله على ذلك ، فقد ذكر ابن الأثير أن ذا يزن أبا سيف بن ذى يزن خرج من اليمن فقدم الحيرة على عمرو بن هند وسأله أن يكتب إلى كسرى كتابا يعلمه محله وشرفه

---

(٦٥) جمهرة أنساب العرب ٣٢٢ ، وانظر الأغانى : ٨ — ٦٥

(٦٦) الأغانى ٩ : ١٨٣

وحاجته[٦٧] وذكرها فى الأحداث التى سبقت عام الفيل » .

ويورد كل من الطبرى وابن الأثير إحصائية لسنى من ملك بعد عمرو ابن هند حتى مبعث الرسول ﷺ فيقولا[٦٨] : « فلما هلك عمرو بن هند ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك أيام أنو شروان ثمانية أشهر وفى أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة أشهر ، ثم ولى بعده قابوس السهوب ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان أربع سنين ، ثم ملك بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك فى زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر ، وفى زمان ابنه إبرويز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ، ثم ولى إياس ابن قبيصة الطائى ومعه النخير خان فى زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة ، ولثمانية أشهر من ولاية إياس بعث النبي ﷺ » . ولو حسبنا ذلك — مع اعتبار أن رسول الله ﷺ بعث بعد الفيل بأربعين سنة لأنه ولد عام الفيل — لوجدنا أن ملك قابوس الذى خلف عمرو بن هند أى السنة التاسعة وأربعة أشهر من عام الفيل ، أى أن وجود عوف بن محلم فى سوق عكاظ كان قبل السنة التاسعة من عام الفيل يوم كان عمرو بن هند حيا ووجود عمرو بن كلثوم فيه كان قبل السنة الخامسة عشر من عام الفيل .

وليت شعرى هل بقى ثمة شك بعد هذه النصوص فى أن سوق عكاظ كانت قائمة قبل خمس عشرة سنة من عام الفيل .

وبما أن منهجى فى بحثى عن سوق عكاظ ونشاطاته أن أحاول بقدر

---

(٦٧) الكامل ١ — ٤٣٢

(٦٨) تاريخ الطبرى (ليدن) ٢ سلسلة ٢ — ١٣٠٨ ، والكامل ١ — ٤٩١

الإمكان أن أوفق بين ما تباين من نصوص واختلف من آراء فقد حاولت أن أوفق بين أحداث ماسقته من نصوص تثبت أن سوق عكاظ كان قائماً قبل خمس عشرة سنة من عام الفيل وبين ماذكره البكرى من تاريخ ولكن ذلك لم يستقم لى غير أنى أود أن ألفت النظر إلى أن كلمة « بعد عام الفيل » التى ذكرها البكرى قد تكون غلطة ناسخ أو محقق . وأميل إلى أنها « قبل عام الفيل » لأن هناك نقولا من البكرى فى كتب قديمة تثبت أن الكلمة «قبل» وليس « بعد » ، ومن هذه النصوص ما أورده الحافظ بن حجر رحمه الله[٦٩] « قال البكرى : أول ما أحدثت قبل الفيل بخمس عشرة سنة » . وحتى على فرض أن الكلمة الصحيحة هى « قبل عام الفيل » فإنى لا أزال فى مرية من هذا فبعض حادثات النصوص التى سقتها يرتفع تاريخها إلى ماقبل عام الفيل بعشرات السنين .

وقبل أن أختتم هذا النقاش فإنى أود أن ألفت نظر القارىء إلى سلسلة حكام عكاظ التى أوردها ابن حبيب[٧٠] وصاحب النقائض[٧١] والمرزوقى[٧٢] والتى سنفرد لها بابا خاصاً إن شاء الله فلعله يجد مايدله على أن تاريخ إقامة سوق عكاظ يرتفع إلى ماقبل التاريخ الذى عينه البكرى ، خاصة وأن عامر بن الظرب وسعد بن زيد مناة بن تميم كانا منهم .

أما نهاية سوق عكاظ فقرنها قوم بمجىء الإسلام وهم يقصدون إسلام القبائل التى كانت تحضرها أو التى كانت تنظمها خاصة قبيلة هوازن ، قال

---

(٦٩) فتح البارى ٨ — ٦٧١

(٧٠) المحبر ١٨٢ .

(٧١) النقائض ١ — ٤٣٨ .

(٧٢) الأزمنة والأمكنة ٢ — ١٦٧ — ١٦٨ .

الخليل أبن حمد (٧٣) : « عكاظ : اسم سوق كانت العرب تجتمع فيها كل سنة شهرا ويتناشدون فيها ويتفاخرون ثم يتفرقون فهدمه الإسلام » وقال الجاحظ (٧٤) : وكانوا (قريش وثقيف) بقرب سوق عكاظ وذى المجاز ، وهما سوقان معروفان ومازالتا قائمين حتى جاء الإسلام «وقال الأزهرى (٧٥) : « كان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهرا يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون فلما جاء الإسلام هدم ذلك » وشبيه بهذا القول ما قاله الجوهرى فى صحاحه (٧٦) ، ووصفها آخرون بأنها سوق جاهلية كابن لأثير مثلا الذى يقول (٧٧) : « عكاظ... كان يقام به فى الجاهلية سوق » وقصر إقامه السوق على الجاهلية فى هذا النص يدل على أنها لم تستمر فى الاسلام .

وقرنها آخرون بالحرورية الخوارج حينما استولوا على عكاظ وخربوه وعلى رأسهم البكرى ونقل ذلك عنه من أتى من بعده ، يقول البكرى (٧٨) : « واتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة وتركت عام خرجت الحرورية بمكة مع المختار بن عوف سنة تسع وعشرين ومائة ، فخرج الحرورية فنهبوها فتركت إلى الآن » وسوف نناقش هذين الرأيين ومدلول الإشارة فى قولى الأزهرى والجوهرى ونحاول التوفيق بينهما فى نشاط عكاظ فى الإسلام إن شاء الله — لأنى أراه أكثر ملاءمة لهذا النقاش .

---

(٧٣) كتاب العين ١ — ١٢٢ .
(٧٤) الحيوان ٧ — ٢١٥
(٧٥) لسان العرب ٧ — ٤٤٨ .
(٧٦) الصحاح : ٣ — ١١٧٤
(٧٧) النهاية ٣ — ١٢٠
(٧٨) معجم ما استعجم : ٣ — ٩٥٩

ما هى عكاظ : اختلف من كتب عن طبيعة عكاظ اختلافا لا يقل عن اختلاف من حدد وقت إقامته فانقسموا إلى خمس فئات ، ويمكن أن نلخص على النحو التالى :

الفئة الأولى : ترى أن عكاظ نخل فى واد بين مكة والطائف وهم الأغلبية من أصحاب معاجم البلدان ، وهم فى رأيى يستندون إلى قول الأصمعى أو ينقلون عمن استندوا إلية (٧٩) .

الفئة الثانية . ترى أن عكاظ صحراء مستوية لا علم بها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التى كان بها فى الجاهلية ، ومن رأى هذا استند على قول عرام بن الأصبغ السلمى (٨٠) أو على قول البكرى (٨١) .

الفئة الثالثة : ذهبت إلى أن عكاظ اسم للسوق فقط وليست هناك أرض غيره أو خارجة عنه تسمى بهذا الاسم ، وهو قول ابن التين المشار آنفا وقول صاحب الصحاح (٨٢) .

الفئة الرابعة : ترى أن عكاظ ماء وعزى ذلك إلى الزمخشرى فى بعض أقواله ويبدو لى أن الزمخشرى نقله عن غيره فهو يقول «قبل عكاظ ماء» (٨٣)

---

(٧٩) معجم البلدان : ٤ — ١٤٢ ، فتح البارى : ٨ — ٦٧١ ، بلاد العرب ٤٣ ، بلوغ الأدب : ١ — ١٩١ وشرح الحماسة للمرزوقى : ٣ — ١٥١٤

(٨٠) أسماء جبال تهامة : ٢ — ١٤٧٣ (نوادر المخطوطات)

(٨١) معجم ما استعجم : ٣ — ٩٥٩

(٨٢) الصحاح : ٣ — ١١٧٤

(٨٣) تاج العروس : ٥ — ٢٥٤

الفئة الخامسة : ترى أن عكاظ « قرية كالمدينه جامعة لهـا مزارع ونخيل ومياه كثيرة» وهو ما أورده الإدريسى ثم أتى الحميرى صاحب الروض المعطار بعده بقرنين أو أكثر فنقل عبارة الإدريسى بحذا فيرها » (٨٤) .

ومهما يـكن من أمر ، فإن التوفيق بين هذه الأقوال ليس بالعسير المتمنع ويمـكن أن يـكون على أساس من انتقال المـكان حتى يشمل غـير البقعة التى سمى بها وحتى تمتد التسمية إلى ما يحيط بها ، وليس هذا فى عكاظ فبقاع كثيرة شملها اسم واحد رغم أن الاسم فى بادىء الأمر موضوع لماء أو لأكيمة أو نحو ذلك ، واستئناسا بهذا يكون التوفيق على النحو الآتى :

ان عـكاظ أطلق على ماء أول الأمر فى واد فاتسعوا فى التسمية حتى شملت هـذا الوادى الذى كانت تربته ملائمة لزراعة النخيل ، ولأن محل السوق منه هو أهم نقطة فيه فقد اشتهر عند الناس أكثر من شهرة الوادى ونخيله ، ولأن السوق يحضره عدد كثير لا يستوعبهم الوادى اضطروا إلى أن يضربوا أقبيتهم على جنبتيه ويتسعوا فى الرقعة كلمـا زاد العدد فشمل اسم عكاظ محل هذه الأقبية مهما بلغ اتساعه وهو صحراء ثم كان آخر الأمر أن بنيت قرية كالمدينة فى هذه الارض الواسعة أو على مقربة منها فشملها عكاظ أو انتقلت التسمية إليها ، وبهذا التوفيق نـكون قد جمعنا بين هذه الاقوال التى تبدو متنافرة والله أعلم .

أهل عـكاظ : يرى أكـثر المؤرخين أن عكـاظ لقيس عيلان فى

---

(٨٤) موقع سوق عكاظ : مجلة العرب ، ملحق الجزء الثالث ص ٨

وسط ديارها (٨٥) ، وهوازن أشد القبائل القيسية التصاقا بهذا السوق وخاصة بنى نصر منهم ، وفى قصة حروب الفجار ما يؤكد هـذا فقد انهزمت هوازن وقيس كلها يوم العبـلاء إلا بنى نصر « فانها صبرت مع ثقيف وذلك أن عكاظ لهم فيه نخل وأموال » (٨٦) غير أن لثقيف مشاركة فى تنازع ملـكية هذا الصقع ففى نص البكرى السابق ما يؤكد ذلك بل ويشير إلى أن بنى نصر قلة فيها ، ولقد ذكر أبو ذؤيب الهذلى ذلك بقوله :

فما برحت فى الناس حتى تبينت ثقيفاً بزيزاء الأشاء قبابها

يقول السكرى فى شرحه لهـذا البيت : « حملت إلى عكاظ وهى دار ثقيف » (٨٧) وأبى قوم آخرون فرأوا أن عكاظ لبنى هلال (٨٨) ، وهذه أقوال لا تنافر بينها فان القبائل لما بينها من حروب تستولى على أراضى غيرها وتطردها عن أملاكها ومراعيها ثم تقطن فيها ، ومثال حى على ذلك « وادى الرشا » فى وسط نجد ، فقد كان أحسن مرعى لقبيلة قحطان فانتجعت قبيـلة عتيبة شطره ولأسباب لا داعى لذكرها طردت قبيلة قحطان فأصبح هـــذا الوادى فى وسط أراضى عتيبة .

وعلى كل حال ، فان قبيلة هوازن على إطلاقها تشمل بنى ثقيف وبنى نصر وبنى هلال (٨٩) وهى القبيلة التى لها شأن فى أمر عكاظ يوم أن كانت سوقا قائمة ، لها دور فى تنظيمه والدعوة إليـه وإقرارها وموافقتها على من يحضره

(٨٦) الإكليل . ٨/١٨٤

(٨٧) معجم ما استعجم . ٣/٩٦٢

(٨٨) ديوان الهذليين . ١/٤٧

(٨٩) صفة جزيرة العرب . ٢٦٥

ولها القدرة أن تمنع من تشاء وتدنى من تشاء ويخشى ذلك منها ، فقد أرسلت لقريش إنذاراً تشعرها فيه أنه لا يمكنها شهود عكاظ حتى يؤدوا المائة الناقة التى أخذها ابن جدعان — يوم أن كان فاتكا أول حياته — من إبل كلاب بن ربيعة ، وهذا هو نص الإشعار والإنذار : « إن سفيهكم أغار على (كلاب بن ربيعة) فطر دمائه ناقة فليس لكم أن تشهدوا عكاظ ولى لديكم وترة . » (٩٠) .

---

(٩٠) الإكليل : ٨/١٨٤ ، وقال أبو براء ملاعب الأسنة حينما غدرت به قريش ولم تخبره عن فتك الراض بعروة الرحال ، « غدرت قريش وخدعنى حرب بن أمية والله لا تنزل كنانة عكاظ أبداً » الكامل فى التاريخ : ١ — ٥٩٢

الأمن فى عكاظ وتقاليد الفرسان

رغم ما بين العرب من ثارات وأحقاد ورغم أن أبعض الفرسان يحضر هذا السوق للتعرف على غرمائه كما سترى فان الأمن يسود فى عكاظ يرى المتسوق من له عليه ثأر أو من كان يتحين الفرص ليجده فلا يتعرض له بسوء ما دامت السوق قائمة ، وبلغ الأمن بعكاظ مبلغاً جعل العرب يأخذون معهم أموالهم و نساءهم وصبيانهم (٩١) وكان زهير بن جذيمة العبسى يخرج فى أهل بيته إلى عكاظ (٩٢) وقال أبو عبيدة (٩٣) : « كانت الفرسان إذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام أمن بعضهم بعضاً » ، ولقد سجل الشعراء ما رأوه وأحسوا به من أمان فى عكاظ قد لا يحسونه فى مكان آخر ، فقال النابغة الذبيانى :

مكتنفى جنبي عكاظ كليهما ... يدعو بها ولدانهم عرعار

شرحه ابن فارس بقوله : « يريد أنهم آمنون وصبيانهم يلعبون هذه اللعبة » (٩٤) ، وقال أبو ذؤيب الهذلى :

فلما رأوا أن أحكمتهم ولم يكن ... يحل لهم إكراهها وغلابها

---

(٩١) الفاخر . ٢٧٥ ، وفى الكامل فى التاريخ . ١/٥٩٠ . « وكان عكاظ . . . فيأمن بعضهم بعضا . . . »

(٩٢) الكامل فى التاريخ . ١/٥٥٧

(٩٣) الفاخر . ٢٧٥

(٩٤) مقاييس اللغة . ٤/٣٦

شرحه السكرى بقوله : « ... لما لم يحل لهم أن يكرهوا أهلها عليها أو يغتصبوها وهى بسوق عكاظ وكانت سوقا لا تقوم إلا فى الأشهر الحرم » (٩٥)

وقال أبو ذؤيب أيضاً :

فما برحت فى الناس حتى تبينت ثقيفاً بزيزاء الأشاء قبابها

شرحه السكرى أيضاً بقوله : « حتى تبينت ثقيفاً : أى رأتهم وقدم بها الأمن وأدخلت عكاظا » (٩٦)

وقد يرد عكاظ فاتك عليه ترات كالحارث بن ظالم مثلا فيعرفه غرماؤه ولكنه يظل آمناً ما دام سوق عكاظ قائما فيقال إن الحارث بن ظالم قدم على عبد الله بن جدعان بعكاظ ، وهم يريدون حرب قيس ولذلك نكس رمحه ثم رفعه حين عرفوه وأمن (٩٧) . ووجود الحارث بن ظالم فى مثل ذلك الوضع فرصة مواتيه لكنانة فهو قيسى وفاتك ويخاف ولكن العرف منعهم من قتله أو التعرض له بسوء ، ولعل فى تنكيسه الرمح ورفعه حين يعرف الرجل عرف يتبعه الجناة ليأمنوا ، وحينما ترد العرب عكاظ فانهم ينسون تراتهم وثاراتهم ما دامت السوق قائمة لأنهم فى الشهر الحرام فهذه قبيلة عبد الله بن العجلان صاحب هند لها وعليها ثارات مع قبائل أخرى ومن بينها قبيلة هند بنو نمير فأراد عبد الله المضى إلى بلادهم ليرى هنداً « فمنعه أبوه وخوفه الثارات وقال له : نجتمع معهم فى الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة » (٩٨) .

---

(٩٥) ديوان الهذليين : ١/٤٨
(٩٦) نفس المصدر والجزء : ٤٧
(٩٧) أنساب الاشراب : ١/٤٣
(٩٨) الأغانى : ١٩ — ١٠٥

وكان العرب حريصين أشد الحرص أن يحفظوا الأمن فى عكاظ حتى أن بعضاً من فرسانهم وفتيانهم كان يتطوع للقيام بهذه المهمة ، وما هم ببعيدين ممن نسميهم اليوم بقوى حفظ السلام تتمركز فى مكان بين الطرفين المتنازعين يسجل ذلك اليعقوبى فيقول (٩٩) : « وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمين . . . فأما الذادة المحرمون فكانوا من بنى عمرو بن تميم وبنى حنظلة ابن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بنى شجيان ، وقوم من كلب بن وبره فكان هؤلاء الناس يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس . »

وكان من عادة العرب أن تضع أسلحتها إذا وردت عكاظ عند رجل مأمون وكان ذلك الرجل عبد الله بن جدعان فتبقى عنده أسلحة الناس حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم فيردها عليهم إذا ظعنوا ، وضرب ابن جدعان مثلا فذا فى أمانته فلما كان من أمر البراض ما كان قال حرب ابن أمية له : « احتبس قبلك سلاح هوازن » فقال عبد الله بن جدعان : « أبا لغدر تأمرنى يا حرب فوالله لو أعلم أنه لا يبقى فيها سيف إلا ضربت به ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً ، ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف تستعينون بها . . . ثم صاح ابن جدعان فى الناس : « من كان له قبلى سلاح فليأت وليأخذه » فأخذ الناس أسلحتهم (١٠٠) ، لله ما فعل ابن جدعان قوم يحارنونه وعنده أسلحتهم موضوعة فلا يمسكها وإنما يدفعها إليهم ، إنها أمانة تليق بالأشراف من قريش .

---

(٩٩) تاريخ اليعقوبى ١/٢٧٠ — ٢٧١

(١٠٠) الاغانى ١٩/٧٩

ورغم أن العرب تضع أسلحتها فإن هناك أقواما يباح لهم حمل السلاح عرفوا بالذادة المحرمين فإنهم لا يضعون اسلحتهم فى الشهر الحرام[١٠١] وحملهم السلاح ضرورة يقتضيها إقامتهم السلام .

واستتباب الأمن فى عكاظ لايعنى بأى حال من الأحوال أن ليس هناك حالات حطم فيها الأمن فيها تحطيما فحروب الفجار المشهورة فى الجاهليه مثال لذلك التحطيم فإن بعضا منها عرف بأيام عكاظ وقع فى الأشهر الحرم وفى وقت إقامة عكاظ كما نصت على ذلك كتب التاريخ[١٠٢] وكان الذى هاج يوم الفجار الأول أن بدر بن معشر الغفارى « جعل له مجلس بسوق عكاظ ، وكان حدثا منيعا فى نفسه فقام فى المجلس وقام على رأسه قائم وأنشأ يقول :

نحن بنو مدركه بن خندف   من يطعنوا فى هينه لم يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف   كأنهم لجه تجـــر مسرف

ومد رجـله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز منى فليضربها ؟ فضربها الأحيمر بن مازن »[١٠٣]

ومن الحالات التى انتهك فيها الأمن قتل زهير العبسى ابن الخمس . وذلك أنه قتل الحارث بن ظالم المرى وأخذ سيفه فورد به عكاظ فى الأشهر الحرم فأراه قيس بن زهير العبسى فضربه قيس فقتله[١٠٤] وقد يظن ظان أن هناك تناقضا بين مثل هذه الانتهاكات وبين الروايات التى تؤكد أن العرب كانت

---

(١٠١) تاريخ اليعقوبى : ١ — ٢٧١
(١٠٢) انظر السيرة لابن هشام : ١ — ١٨٦ ، ١٨٧ والسيرة لابن كثير : ١ — ٢٥٥
(١٠٣) العقد الفريد : ٦ — ٨٧ ، والمنمق : ١٨٦ — ١٨٧ ، والكامل فى التاريخ : ١ — ٥٨٩
(١٠٤) العقد الفريد : ٦ — ١٤ ، الاغانى : ١٠ — ٢٩

تضع أسلحتها عند ابن جدعان فى عكاظ بينما لاتناقض فى الحقيقة خاصه إذا عرفنا أن هناك أقواما من العرب لايخضعون لمثل هذه الأعراف فلايضعون أسلحتهم عندابن جدعان ولايرون حرمة الأشهر الحرم سواء أكانوا فى عكاظ أم فى غيره وهؤلاء عرفوا بالمحلين ووصفهم اليعقوبى بقوله(١٠٥) : « وكان فى العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق فسموا بالمحلين » ، أضف إلى ذلك أن الأسباب التى جرت هذه الحروب أو بعضها لم تكن مسبباتها فى عكاظ نفسها بل كانت فى أماكن أخرى ، فالحرب الضروس التى نشبت بين كنانة وقيس أيام عكاظ فى نخلة كان سببها أن البراض قتل عروة الرجال وقتله ليس فى عكاظ وإنما كان فى مكان يبعد عن عكاظ مسيرة أيام ولكن الخبر ورد على القوم وعكاظ قائمة فنشبت الحرب(١٠٦) وجرت الحرب الأولى الحروب الأخرى مع تفاوت الأسباب ، ويبدو لى أن العرب فى الأعوام الثلاثة التى تلت يوم نخلة كانت ترد عكاظ وهى مدججة بالسلاح ولاتضع سلاحها عند ابن جدعان لأن ابن جدعان نفسه يرد عكاظ مسلحاً يحارب مع قومه كنانة ولأن العرب كانت تعرف أن الحرب ستقوم فلا يتوقع منهم أن يضعوا السلاح ، ولذلك يقول الأسدى(١٠٧) :

ياقوم قدوافى عكاظ الموسم   تسعون ألفا كلهم مسلأم

تقاليد الفرسان : للفرسان عرف خاص حينما يريدون عكاظ ، وهو أنهم يتبرقعون لئلا يعرفهم أحد من ناحية فيترصد غرتهم (١٠٨) أو مخافة أن يؤسروا

---

(١٠٥) تاريخ اليعقوبى : ١ — ٢٧٠
(١٠٦) الاغانى : ١٩ — ٧٥
(١٠٧) المنمق : ٢٠٦
(١٠٨) الفاخر : ٢٥٧

من ناحية أخرى فيكبر فداؤهم(١٠٩)، حدثتنا عن ذلك كتب الأدب والتاريخ فقالت(١١٠) : « وكان من عادة الفرسان العرب فى عكاظ التقنع إلا ما كان من أبى سليط طريف بن تميم العنبرى فإنه كان لايقنع ولايبالى أن تثبت عينه جميع فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يعرفوا فلايكون لفرسان عدوهم علم غيرهم ، فقال لما رآهم يطلعون فى وجهه ويتفرسون فى شمائله: قبح الله من وطن نفسه إلا على شرفه ورمى القناع وحسر عن وجهه ، ولما أقبل حصيصة الشيبانى يتأمله قال :

أوكلما وردت عكاظ قبيلة — بعثوا إلى عريفهم يتوسم

فتوسمونى إننى أنا ذاكوا — شاك سلاحى فى الحوادث معلم

تحتى الأغر وفوق جلدى نثرة — زعف ترد السيف وهو مثلم

ولكل بكرى إلى عداوة — وأبو ربيعة شانىء ومحلم

ورغم أن هذه العادة اشتهر بها فرسان العرب فإننا نعثر على معلومات هنا وهناك تدل على أن العرب جميعهم فى عكاظ وكانوا يتبرقعون ، فهى ليست مقصورة على الفرسان وحدهم ، يقول اليعقوبى (١١١) : « وكانت العرب ترد سوق عكاظ وعلى وجوههم البراقع فيقال إن أول عربى كشف قناعه طريف ابن تميم العنبرى ففعلت العرب مثل فعله » ، ونجد أيضا أن فى بعض الأخبار أن الأشراف كانت لاترد عكاظ إلا وهم متبرقعون مخافة أن يؤسروا ، يقول المرزوقى(١١٢) : « ولايوافيها شريف إلا على وجهه برقع مخافة أن يؤسر يوما

(١٠٩) الازمنة والامكنة : ٢ — ١٦٦

(١١٠) البيان والتبيين : ٣ — ١٠٠ — ١٠١ ، المفاخر : ٢٥٧ ، العقد العريد : ٦ ٥٦ والازمنة والامكنة : ٢ — ١٦٦ ، تاريخ اليعقوبى ٢ — ٢٧١ ، أسماء المقتالين من الشعراء (نوادر المخطوطات) : ٢ — ٢١٨ — ٢١٩

(١١١) تاريخ اليعقوبى : ١ — ٢٧١

(١١٢) الازمنة والامكنة : ٢ — ١٦٦

فيكبر فداؤه ، وكان أول من كشف القناع طريف العنبرى » والأشراف عادة يكونون من بين الفرسان .

والجاحظ يذكر أن هذه العادة ليست خصيصى عكاظ فهى عادة ألفها الفرسان فى أماكن أخرى كالمواسم والأسواق ، يقول(١١٣) . « وكان من عادة العرب فى المواسم والجموع وفى أسواق العرب كأيام عكاظ وذى المجاز وما أشبه ذلك التقنع » .

ومادام الهدف من التقنع ما أشرنا إليه آنفا فإن هذه العاده يجب أن تكون فى أى مكان من شأنه أن يضم العرب من أطراف جزيرتهم المترامية وكلهم أحقاد وثرات وكل قبيلة تتوسم فى فرسان القبيلة الأخرى وتنتهز الفرصة لتثأر لنفسها أو لتأسر فتنال الفداء العظيم إلا أن هذه العادة اقترنت بعكاظ لأن أول من حطمها كان فى عكاظ ولأن العرب تكثر فى عكاظ لأنه أكبر أسواقهم .

وهناك عادة أخرى أشرنا إليها آنفا وهى الفارس ينكس رمحه ثم يرفعه حين يعرف فيأمن ، ولعل هذه الإشارة إمارة سلم ، وقد فعلها الحارث بن ظالم حينما قدم على ابن جدعان بعكاظ(١١٤) ولم أجد فيما رجعت إليه من كتب أخبارا أخرى مشابهة تدعم القطع بأن هذة العادة كانت شائعة ومعروفة بين العرب فى عكاظ .

---

(١١٣) البيان والتبيين : ٣ — ١٠٠

(١١٤) أنساب الاشراف : ١ — ٤٣

حكام عكاظ

لابد للعرب من حكام يرضون بحكمهم ويخضعون له حينما يجتمعون فى عكاظ لمنافرة أوفداء أوصلح أومعاكظة أومسابقة شعريه ، فقد ذكرت لنا الكتب الأدبية والتاريخية قائمة بأسماء هؤلاء الحكام ، وإليك هذه القائمة(١١٥):

« عامر الظرب وسعد بن زيد مناة بن تميم ثم تولى ذلك حنظلة بن زيد مناة ابن تميم ثم تولاه ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ثم مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم ثم ثقلة بن يربوع ثم معاوية ين شريف ثم الأضبط بن قريع ثم صلصل ابن أوس بن مخاشن ثم سفيان بن لمجاشع بن دارم ومحمد بن شعبان بن مجاشع وكان آخر من قضى بينهم الذى يوصل إلى الإسلام الأقرع بن حابس بن عقال ابن محمد بن سفيان » .

ونلحظ هنا أن حكام عكاظ كانوا ينتمون إلى قبيلتين عدوان وتميم وأن الحكم أخيرا أصبح ميراثا لبنى تميم ، ولعل ذلك راجع إلى قوة تلك القبيلتين ومنعتهما فى الأول . ويبدو لى أن هناك شرطين أساسين لابد من توفرهما بالحكم هما : الحكمة ومنعة القبيلة ويتجلى ذلك واضحا فى شخصيتى عامر بن الظرب المشهور بحكمته شهرة جعلته فى عداد حكماء العرب وأكثم بن صيفى التميمى الذى اشتهر بحكمته وأمثاله والذى اختاره النعمان بن المنذر ليمثل العرب أمام كسرى كما تتجلى المنعة فى عدوان يوم أن كانوا « حية الأرض » كما وصفهم ذو الأصبع العدوانى (١١٦) ، وفى تميم ، ومنعة قبيلة الحكم ضرورة تقتضيها البيئة القبلية

---

(١١٥) المحبر ١٨١ ـ ١٨٢ النقائض ١ ـ ٤٣٨ ولأزمنة والأمكنة ٢ ٦٧ ـ ١٦٨

(١١٦) الأغانى ٣ ـ ٢

والمجتمع البدوى ، وعند تلك القبيلة التى ينتمي إليها الحكم مسئولة أمام القبائل الأخـــرى عن تنفيذ مقررات عكاظ وعقوبة من يتعدى عليها لأنها ممثلة فى شخصية الحكم التى ينتمى إليها ، ولذلك فإن الحكومة فى عكاظ لم تلبث فى بنى عدوان بعد عامر بن الظرب لضعفها آنذاك وتوارثتها تميم لأنها كانت أقوى قبيلة جاهلية وأقساها آنذاك .

وارتبطت قبيلة تميم ارتباطا وثيقا بالحكومة فى عكاظ جعلت كثيرا من المؤرخين ينسبون الحكومة فى عكاظ إلى تميم دون إشارة إلى عامر بن الظرب قبل ذلك ومن هؤلاء القلقشندى الذى يقول(١١٧) : « ثم يرتحلون إلى عكاظ فى الأشهر الحرم فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار ويتحاجون ، ومن له أسير سعى فى فدائه ، ومن له حكومة ارتفع إلى من له الحكومة ، وكان الذى يقوم بأمر الحكومة فيها من بنى تميم ، وكان آخر من قام بها الأقـــرع بن حابس التميمى » .

وكانت حكومة عكاظ ترتبط ارتباطا وثيقا بحكومة موسم الحج عند الجاهليين فتسند الحكومة فى الموسمين إلى رجل واحد أو إلى قبيلة واحدة ، وإنه لشرف ما بعده شرف أن يجمع الرجل بين الموسم والقضاء فمن الذين أسند إليهم الموسم والقضاء عامر بن الظرب(١١٨) وممن اجتمع له الموسم والقضاء من بنى تميم سعد ابن زيد مناة بن تميم(١١٩) ، وقد كان يقوم بالموسم رجل من قبيلة وهى عادة تميم ويقوم بالقضاء آخر من تلك القبيلة ، يقول ابن حبيب(١٢٠) : « وكان من

(١١٧) صبح الأعشى ١ — ٤١١
(١١٨) المحبر ١٨٠
(١١٩) نفس المصدر ١٨٢
(١٢٠) نفس المصدر والصفحة .

اجتمع له الموسم وقضاء عكاظ من بنى تميم، وكان ذلك يكون فى أفخاذهم كلها ويكون الرجلان يليان هذا من الأمرين جميعا، عكاظ على حدة والموسم على حدة » ويقول فى موضع آخر(١٢١) : « وذلك أن الرئيس من بنى تميم كان يجمع لنفسه الموسم والقضاء معا بعد أن كان يتولاهما رجلان ومن هؤلاء سعد ومالك ثم الأضبط ابن قريع ثم سفيان بن مجاشع ثم الأقرع بن حابس » .

ويجب أن نلحظ هنا إطلاق الموسم على الحج والقضاء على عكاظ رغم أن عكاظ أحد المواسم كما سنبين ذلك إن شاء الله ، وكلمة قضاء لها معناها فالحكم فى عكاظ كان يقوم مقام القاضى إلا أن العرب لم تسم الحكم قاضيا وسنبين إن شاء الله مايدور فى عكاظ من منافرات وفداء ومسابقات وقضايا تتطلب قضاء.

وكان القائم على أمر الحكومة يحرص على أن يعدل فيما يصدره من حكم وألا يحابى أحدا مهما كانت منزلته وقد عرف العرب ذلك عن الحكام الذين توالوا على عكاظ ، ولم يشذ عن ذلك عدا آخرهم الأقرع بن حابس فقد اتهم بميله إلى جرير بن عبدالله البجلى فى منافرته لخالد بن أرطارة الكلبى ، يقول صاحب النقائض(١٢٢) : « الأقرع بن حابس أول من حابى فى الحكومة فى المنافرة بين جرير بن عبدالله البجلى وخالد بن أرطاة الكلبي » وإذا ماعرفنا بأن الأقرع بن حابس هو آخر من قام بالحكومة فى عكاظ (١٢٣) بعد بزوغ الإسلام أدركنا أن ليس هنالك قبله من كان يحابى فى قضائه غيره : ومهما اتهم الأقرع بن حابس فى حكومته فانى لاأرى ذلك وقد بنيت رأيى فى هذا فى باب المنافرات حينما تعرضت لمنافرة جرير بن عبدالله البجلى رضى الله عنه وخالد ابن أرطاة الكلبي .

---

(١٢١) شرح ديوان جرير ٢ — ٨٢٥

(١٢٢) ١ — ١٣٩

(١٢٣) الموشح ٨٢ — ٨٣

وهناك نوع آخر من الحكام هو الحكم الأدبى ، ووظيفته تزكية الشعراء حينما يفدون من كل حدب وصوب ليقدموا ماعندهم من نتاج شعرى بين يديه، وحكم العرب فى عكاظ هو النابغة الذبيانى ، ومناقشة ذلك بالتفصيل سنرجئه إلى فصل قادم إن شاء الله ، بيد أن هناك سؤالين يخامرانى من وقت لآخر :

أولهما : من كان يعين النابغة الذبيانى الحكم الأدبى ؟ : عرفنا فيما سبق أن الحكم من عدوان أومن تميم كان على أساس من حكمة فيه أومنعة فى قبيلته والنابغة قد يكون تنصيبه حكما أدبيا على أساس من شاعريته وبصيرته بالشعر ونقده ، ولقد عاصره شعراء لايقلون عنه كالأعشى وحسان بن ثابت رضى الله عنه . وقبل أن أجيب على هذا السؤال أرى لزاما على أن أطرح سؤالا آخر وهو أى الحكمين أهم ؟ لاشك أن الحكم الأدبى حظى بشهرة أوسع خاصة فى الأوساط الأدبية ولكن ذلك لا يعنى بحال من الأحوال أنه أهم من الحكم الآخر فالحكم الآخر للعرب ذلك الوقت كان أهم وأكثر شرفا، وإذا أمكن لنا أن نتبين أن بين الحكمين ترابطا أمكن لنا أن نخمن أن الحكم الأدبى كان منبعثا عن القضاء العام فى عكاظ ، وعلى هذا الأساس فقد يكون للحكم العدوانى أوالتميمى يد فى تعيين الحكم الأدبى وكتب الأدب صامتة عن جواب هذا السؤال .

ثانيهما : هل هناك حكم أدبى غير النابغة ؟ لم تذكر كتب الادب والتاريخ إسما آخر غيره والنابغة الذبيانى لا يمكن له أن يعيش سنى عكاظ فقد بدأ عكاظ قبله واستمر بعده فهل كان الحكم الادبى والمسابقات الشعرية والبت فيها تقام يوم أن كان النابغة حيا ثم توقفت بعده ؟ لاشك أن الشعراء لم تنقطع عن عكاظ بعد النابغة كما كانت تفد إليه قبل النابغة ولاشك أنها كانت تلقى شعرها بعد النابغة كما كانت تلقيه بعده فلماذا سكت التاريخ عن ذلك ؟ هناك جوابان على هذه الاسئلة .

أحدهما : أن هناك حكاما يحكمون فى مسائل الشعر والأدب غير النابغة ولكننا لدينا من كتب أهملت ذكرهم أو أن شعراء العرب كانت تكتفى بإلقاء شعرها فى السوق وحلقات السمر يحفظها الرواه ويذيعونها فى كل منتدى وقطين كما كان يفعل غيلان بن سلمة الثقفى فقد كان يجلس يوما لينشد للناس شعره ليس أمام حكم أدبى ولكن لمريدى الشعر وكثير ماهم آنذاك[١٢٤] أو كما كان يفعل الراهب المحاربى فقد كان تيفيأ سرحة ثم يغنى شعره[١٢٥] .

ثانيهما : أن المسابقات الشعرية فى عكاظ ما كانت تقام كل عام وإنما أقيمت (ولتسمح لى جرأتى) عاما واحدا ألقى فحول الشعراء قصائدهم فيه أمام حكمة النابغة الذبيانى كما سنرى فيما بعد إن شاء الله ، ولذلك فقد ركزت كتب الأدب على ذلك العام وعلى تلك الحادثة التاريخية الهامة وتذمر بعض الشعراء من حكم النابغة قد يكون سببا من الأسباب التى حدت أو أنهت المسابقات الشعرية فى عكاظ ، وليس معنى ذلك أن الشعراء لم تكن تلقى شعرها أمام النابغة أو تنشد حكمه فى بعض ما اختلف فيه من شعر وإنما نقصد المسابقات الشعرية ، ولذلك يقول الشريسى[١٢٦]: «وكان النابغة الذبيانى يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسى ينشدونه » ومدلول هذا القول سنورده فى مكان أكثر ملاءة وهو النشاط الأدبى .

ومهما يكن من أمر فإن هناك حكاما فى عكاظ غير عامر بن الظرب وغير

(١٢٤) المحبر : ١٣٥

(١٢٥) المختلف والمؤتلف : ١٧٩ .

(١٢٦) شرح المقامات : ٤ / ٣٥٠

بنى تميم لم ترد أسماؤهم فى قائمة الحكام الرسميين ولكن وردتنا نتف من أخبارهم تدل على أن لهم مكانة فى عكاظ وأنهم قضوا فيه ، وقد يكون ذلك عن طريق شخصى بمعنى أن العرب كانت تعرف منهم شرفا وحكمة فتطلب منهم الفصل فى مشاكلهم والبت فى مسائلهم ومن هؤلاء شخصان اشتهر أحدهما بالحكمة فى العرب واعترف له بها كسرى أنوشروان (١٢٧) واشتهر ثانيهما بالسيادة والشرف أما أولهما فهو غيلان بن سلمة الثقفى الذى قال عنه ابن حبيب (١٢٨) : « وكان يجلس فى أيام الموسم فيحكم بين الناس يوما وينشد شعره يوما وينظرون إلى وجهه يوما . » ولعلك تتبين أن أيام الموسم تشمل أيام عكاظ فى نقاش آت إن شاء الله ، وثانيهما حنظلة بن نهد ، قال عنه البكرى (١٢٩) : « وكان حنظلة بن نهد من أشراف العرب له منزلة بعكاظ فى مواسم العرب وبتهامة والحجاز ولذلك يقول قائلهم :

حنظلة بن نهد خير ناش فى معد

وأسماه ابن حزم الظاهرى : « حاكم العرب » (١٣٠) وإن لم يذكر المكان الذى كان يحكم فيه ، وقال البكرى فيه أيضا (١٣١) : وكان حنظلة بن نهد صاحب فتاحة تهامة ، وصاحب العرب بعكاظ ، حين تجتمع فى أسوقها فتحول ذلك إلى كلب بن وبره ، فكان أول كلبى جمع كلباً وضربت

---

(١٢٧) الاغانى : ١٢ / ٤٨

(١٢٨) المحبر : ١٣٥

(١٢٩) معجم ما استعجم : ١ — ٣٤

(١٣٠) جمهرة أنساب العرب : ٤٤٦

(١٣١) معجم ما استعجم : ١ — ٥١

عليه القبة » ولهذا النص مدلولان أحدهما ما استشهد به له وثانيهما وهو من الأهمية بمكان أن قبيلة كلب كان لها نصيب فى قضاء عكاظ ولعل ذلك كان قبل عدوان وتميم خاصة إذا ما عرفنا أن حنظلة بن نهد كان قديما فى الجاهليه، وبناء على هذا فقد نضيف اسم حنظلة بن نهد مع عامر بن الظرب وسعد ابن زيد مناة فى قائمة حكام عكاظ .

شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاظ

إن أبرز من حضر سوق عكاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حضرها مرارا، حضرها محاربا مع أعمامه وحضرها متسوقا ثم حضرها داعيا إلى الله ومبلغا رسالته، أما حضوره الأول فقد كان يافعا في سن الرابعة عشرة أو فويقها محاربا مع قريش يوم الفجار الآخر وهو يوم من أيام عكاظ (١٣٢) على اختلاف، وكان صلى الله عليه وسلم يقول (١٣٣) : كنت أنبل مع أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة » وهو اليوم الوحيد من أيام عكاظ الذي انتصرت به قريش وأخلاطها على هوازن ، ويعزو البلاذري ذلك النصر إلى حضوره صلى الله عليه وسلم تلك المعركة ولو شهد المعارك الأخرى لانتصرت قريش (١٣٤) ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر أكثر من يوم وأنه طعن أو أردى أبا براءة ملاعب الأسنة ، وسئل صلى الله عليه وسلم عن مشهده يومئذ فقال : « ماسرني أني لم أشهده لأنهم تعدوا على قومي عرضوا عليهم أن يدفعوا البراض صاحبهم فأبوا » (١٣٥) .

أما حضوره الثاني فقد كان يتسوق مع قريش ويستمع إلى حكماء العرب وبلغائهم ولقد أنصت إلى قس بن ساعدة الإيادي وأعجب بها وحفظ نثرها

---

(١٣٢) العقد الفريد : ٦/٨٩ ، الاغاني : ١٩ـ٧٥ ، انساب الاشراف : ١ـ١٠٣

(١٣٣) سيرة ابن هشام . ١ ـ ١٨٦ ، العقد الفريد . ٦ ـ ٨٩

(١٣٤) أنساب الاشراف . ١ ـ ١٠٣

(١٣٥) الأغاني ١٩ ـ ٨١

ونسى شعرها ولما قدم عليه وفد إياد سألهم عن قس فأخبروه بما علموا عنه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أورق وهو يخطب : أيها الناس . اسمعوا وعوا . . . إلخ » وأكمل أبو بكر رضى الله عنه الشعر (١٣٦) .

أما حضوره الثالث فهو حضور مبلغ وداع إلى الله ، يعرض نفسه على أشراف القبائل لكى يصدقه وينصروه لما لم تصدقه وتنصره عشيرته قريش ، ففى حديث جابر : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم بالموسم بمجنة وعكاظ يبلغ رسالات ربه (١٣٧) وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ . . . »(١٣٨) والتقى هناك بأهل يثرب الذين صدقوه وأسلموا دون غيرهم فى عكاظ ،يقول جابر ابن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه مبينا اتصالهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى سوق عكاظ وتصديقهم له (١٣٩) : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الحاج فى منازلهم فى المواسم بمجنة وعكاظ ومنازلهم بمنى من يؤوينى وينصرنى حتى أبلغ رسالات ربى وله الجنة فلا يجد أحدا يؤويه ولا ينصره حتى أن الرجل يرحل صاحبه من مضر أو اليمن فيأتيه قومه أو ذو رحمه فيقولون : احذر فتى قريش لا يفتننك ، يمشى بين رحالهم يدعو إلى الله

---

(١٣٦) شرح المقامات . ٤ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٨ ، البيان والتبيين . ١ ـ ٣٠٨ ، العقد . ٤ ـ ١٨٦

(١٣٧) خزانة الأدب (عن فتح البارى) . ٤ ـ ٣٦١

(١٣٨) ٦ ـ ١٩٠

(١٣٩) دلائل النبوة للبيهقى . ٢ ـ ١٨١

عز وجل يشيرون إليه بأصابعهم حتى بعثنا الله عز وجل له من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبق دار من يثرب إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام . . » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبرز خطباء عكاظ هذه المرة فقد روى أنه قام بسوق عكاظ عليه جبة حمراء فقال : « ياأيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا » ، فتبعه رجل له غديرتان كأن وجهه الذهب وهو يقول :

« يا أيها الناس : إن هذا ابن أخي وهو كذاب فاحذروه » وهذا الرجل هو عمه أبو لهب لعنه الله(١٤٠) ، وقصة عرضه صلى الله عليه وسلم على القبائل ومحاورته لرؤسائها مبثوثة فى بطون الكتب ومطولة فى كتاب «دلائل النبوة» لأبى نعيم (١٤١) .

---

(١٤٠) تاريخ اليعقوبى : ٢ — ٢٤

(١٤١) من ص ١٠٠ إلى ص ١٠٢

نشاط عكاظ التجارى

عكاظ أعظم الأسواق : على رغم كثرة أسواق العرب فى الجاهلية والتى أوصلها المرزوقى إلى سبع عشرة سوقا فى بقاع من الجزيرة مختلفة فإن سوق عكاظ يعد أكبرها وأهمها على الإطلاق ، ولذلك عبر عنه المؤرخون وأصحاب معاجم البلدان بصيغة التفضيل أعظم تاره وبصيغة « من أعظم » تارة أخرى ، يقول الأصفهانى (١٤٢) : « وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيها شىء أعظم من عكاظ » وأورد ابن حبيب نفس العبارة فى كتابه المنمق (١٤٣) ، أما فى كتابه المحبر فقد قال (١٤٤) : « وكانت عكاظ من أعظم أسواق العرب » ويورد كل من المرزوقى (١٤٥) وياقوت (١٤٦) نفس العبارة حينما تكلما عن عكاظ ، ويقرر ذلك ابن حجر إلا أنه يستعمل كلمة « موسم » بدل كلمة « سوق » والكلمتان لا تفترقان تضادا من ناحية مفهوم عكاظ فيقول (١٤٧) « وهو موسم معروف للعرب بل كان من أعظم مواسمهم » .

وتمتعت عكاظ بهذه العظمة بين الأسواق والمواسم لأسباب كثيرة سوف نتبينها إن شاء الله فيما سنورده إلا أن من بين هذه الأسباب سببا جوهريا أورده

---

(١٤٢) بلاد العرب . ٣٢

(١٤٣) ص ١٩٠

(١٤٤) ص ٢٦٧

(١٤٥) الأزمنة والأمكنة : ٢ — ١٦٥

(١٤٦) معجم البلدان : ٤ — ١٤٢

(١٤٧) فتح البارى : ٨ — ٦٧١

صاحب الخزانة ينقله عن ابن حجر وينتهى سنده إلى الإخبارى ابن الكلبي، يقول (١٤٨): «ثم أسند عن ابن الكلبي أن كل شريف إنما كان يحضر سوق بلده إلا عكاظ فإنهم كانوا يتوافون بها من كل جهة، فكانت أعظم تلك الأسواق».

ازدحام السوق: وتكتظ عكاظ بالمتسوقين والجالبين، يجتمعون فيها من كل صنع وجهة كل يجلب ما عنده ويبتاع ما يعوزه، وكان العربى يحرص أشد الحرص على شهود سوق عكاظ حتى فى أحلك الظروف وأقساها، فهذا ضمان الحارثى يريد أن يرد عكاظ رغم أن سدوماً كانت تريد حربه فيقول لابن أخيه أبى سفيان لما عزم على المضى إلى عكاظ تاركا أهله وماله وراءه إن كنت تحرز أهلى وإلا أقمت عليهم فيجيبه ابن أخيه بأنه يحرزهم من مائة فان زادوا فلا(١٤٩)، وهذا شيخ بنى عامر الذى أقعدته السنون والهرم يتحسر على أنه لم يستطع شهود عكاظ ويعنيه شوقه القديم فيتعرض للآيبين من سوق عكاظ فيسألهم عن أخبار ذلك السوق فكان أهم ما زودوه به أخبار دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عكاظ (١٥٠).

ويعد المتسوقين بالألوف يضربون أباط الإبل من كل موضع، تلتقى فيه الجزيرة العربية جنوبها بشمالها وشرقها بغربيها وتشارك فيه بلدان أخرى غير عربية كفارس (١٥١)، حضر أبو ذؤيب الهذلى ذلك المشهد وما فيه من

---

(١٤٨) خزانة الأدب. ٤ / ٣٦١.

(١٤٩) الأغانى. ١٢ — ٥٤

(١٥٠) دلائل النبوة لأبى نعيم. ١٠٠

(١٥١) أنساب الأشراف. ١ — ١٠٠، شرح ديوان أبى تمام. ٣ — ٣١٢

زحام مقال(١٥٢) :

إذا بنى القباب على عـكاظ وقام البيع واجتمع الألوف

وقد حضرها فى موسم معين تسعون ألفاً من قريش وأحلافها فقط ، ولذلك يقول الأسدى(١٥٣):

يا قوم قد وافى عكاظ الموسم تسـعون ألفـاً كلهم ملأم

وإذا كان هذا عدد الملأمين من قريش وكنانة فما بالك بغير الملأمين ثم ما بالك بأعداد العرب الأخرى وخاصة قيس عيلان ، تلك القبائل مع غيرها تأتى إليها كل عام ، وقد خص صاحبا (المحبر (والأزمنة والأمكنة) عدة قبائل تحضرها أعداد كثيرة منها بالذكر فقالا(١٥٤) : « وكانت قريش تنزلها وهوازن وغطفان وخزاعة والأحابيش وعضل والمصطلق وأسلم وطوائف من أفناء العرب » أما اليعقوبى فيذكر أسماء قبائل أخرى عرضاً وهم هذيل وطيء وتميم وكلب بن وبرة وشيبان(١٥٥) ، وليست هناك إحصائية دقيقة بعدد متوسط من يحضر هذه السوق إلا أن فى كلمة قريش لأبى البراء « لا ينصرفن ولم تقم السوق ، وقد ضربوا آباط الإبل من كل موضع »(١٥٦) دلالة على توارد العرب من أصقاع كثيرة ، ونظرة خاطفة إلى أنواع البضائع التى تصب فى هذا السوق تدل على الأصقاع التى ينتمى إليها المتسوقون والجالبون ، وكلمة قالها ابن منجم — لعنه الله — حينما قتل علياً رضى الله عنه تحمل فى ثناياها

---

(١٥٢) المحكم ١ — ١٥٩ ، الصحاح ٣ — ١١٧٤ ، ديوان الهذليين ١ — ١٨٣

(١٥٣) المنمق ٢٠٦

(١٥٤) المحبر ٢٦٧ ، الأزمنة والأمكنة ٢ — ١٦٥

(١٥٥) تاريخ اليعقوبى ١/٢٧٠ — ٢٧١

(١٥٦) المنمق ١٩٨

دليلا واضحاً على ازدحام السوق بالناس وكثرة عدد من يشهده من الناس ، وهى[١٥٧] : « أما أنا فقد أرهفت السيف ، وطردت الخوف ، وحثثت الأمل ، ونفيت الوجل ، وضربته ضربة لو كانت بأهل عكاظ قتلتهم » .

ويبدو لى أن شهود العرب للسوق يخضع لأحوالهم وظروفهم فسنة يكتظ بهم وسنة يقل عددهم وسنة يزيد على ما يتوقع ، وأشد سنوات هذا السوق ازدهاراً واكتظاظاً بالناس سنة خمس وثلاثين من عام الفيل ، يقول عنها المرزوقى[١٥٨] : « فلما دخلت سنة خمس وثلاثين من عام الفيل وذلك قبل المبعث بخمس سنين حضر السوق من نزار واليمن — ما لم يروا أنه حضر مثله فى سائر السنين فباع الناس ما كان معهم من إبل وبقر ونقد وابتاعوا أمتعة مصر والشام والعراق » .

وغالى الناس فى كثرة من يحضر سوق عكاظ من كل جهة حتى زعم بعضهم أن الجن كانت تشهده وتخطب فيه كما يفعل الإنس ولكن لهم صورة تختلف قليلا ، فقد « حكى رجل من ثقيف أنه رأى بسوق عكاظ رجلا قصير القامة على بعير فى حجم شاة وهو يقول : هل فيكم من يسوق لنا تسعاً وتسعين ناقة ينطلق بها إلى أرض وبار فيؤديها إلى حماله صبار ؟ قال : فاجتمع الناس عليه يتعجبون من كلامه وبعيره فلما رأى ذلك عمد إلى بعيره وارتفع فى الهواء ونحن ننظر إليه إلى أن غاب عن أعيننا »[١٥٩] .

ومما يلحظ حضور النساء العربيات بسلعهن وعرضهن للبيع ، وأكثر

---

(١٥٧) الأمالى ٢ — ٢٦٠
(١٥٨) الأزمنة والأمكنة ٢ — ١٦٨
(١٥٩) آثار البلاد ٨٦

سلعهن ما يستخرجنه من ما شيتهن كالجلود والسمن والأقط ، ولست أدرى هل هذا عُرِفَ فى عكاظ أو أن الرجل العربى فى ذلك السوق منشغل بغير ذلك من إنشاد شعر أو سماعه ومن تتبع للأخبار وشبه ذلك مما يدور فى ذلك السوق أو أن ذلك البيع وتلك السلع بالمرأة أليق وأكثر ملاءمة فهذا رجل من بنى جشم يبعث إمرأته — واسمها عبلة بنت عبيد بن خالد بن حنظلة — إلى عكاظ بأنحاء سمن تبيعها له فيها فباعت السمن والراحلتين وشربت بثمنها الخمر ، فلما نفد الثمن رهنت ابن أخيه وهربت ، فطلقها فقالت فى شربها الخمر :

شربت براحلتى محجن فيـــا ويلتى محجن قاتلى
وبابن أخيـه على لـذة ولم أحتفل عـذلة العاذل

وتزوجها عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أمية الأصغر وعبد أمية ونوفلا وهم العبلات[١٦٠] ، وترد إحدى نساء الجاهلية عكاظ بنحيين ملئا بسمن لتبيعه هناك فيتعرض لها خباب بن الأرت فى الجاهلية فيخدعها بحيلة لطيفة فينزو عليها ، فعرفت بذات النحيين والقصة مشهورة[١٦١] ، وليست تجارة المرأة فى عكاظ مقصورة على السمن والأقط بل تتعداها إلى سلع أخرى أغلبها يختص بالمرأة كالقماش والطيب ، فهذه إمرأة رياح بن الأشل تجلب على عكاظ سلعاً طريفة كان منها قطيفة حمراء وبعض ما يصل به الملوك الوافدين عليهم[١٦٢] .

السلع : كانت عكاظ بمثابة المعرض التجارى تحتشد فيه البضائع من كل نوع ومن كل صقع ، يجلب إليها البدوى سمنه وأقطه وإبله واليمنى برده وعصبه

---

(١٦٠) الاغانى ١/ ٨٤
(١٦١) ثمار القلوب ٢٩٣
(١٦٢)

وسيفه ، والفارسي طيب بلاده وحريرها ، وأهل الطائف جلودهم وزبيبهم وخمورهم ، ويرد إليها الرقيق من كل مكان ، ولم تشتهر عكاظ بشيء مثلما اشتهرت بالأدم حتى قيل : « أديم عكاظي » منسوب إليها[١٦٣] ، وحتى زعم كل من النويري وابن عبد ربه أن كسرى يرسل لطيمته ليشترى له بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه[١٦٤] ، وقالت العرب : « مده مد الأديم العكاظي »[١٦٥] ، وهو أكبر معرض تؤمه العرب وغير العرب وهم يجر العياب بإنتاجهم فيفرغونه ثم يرجعون بها بجرا ببضائع ليست من إنتاجهم لأنهم يقصدون مثل هذه الأسواق للميرة قبل كل شيء ، فعبد القيس مثلا يأتون من ديارهم ليمتاروا من البضائع المعروضة في عكاظ ويكثرون من شراء الزبيب لأن بلدهم لا تنتج ذلك ، يعرف ذلك منهم أكبر خبير تجاري في ذلك السوق وهو أبو سفيان فيعرض عليهم على سبيل الإغراء أن يملأ عيابهم زبيباً بعكاظ إن هم بلغوا رسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول راوى الخبر[١٦٦] : « ومر أبو سفيان بركب من عبد القيس ، قال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم هذه زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قاله أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل » .

---

(١٦٣) الصحاح ٣ — ١١٧٤ ، معجم البلدان ٤ — ١٤٢ ، لسان العرب ٧ — ٤٤٨

(١٦٤) نهاية الأرب ١٥ — ٤٢٥ ، العقد الفريد ٦ — ٨٩

(١٦٥) أساس البلاغة ٦٤٩

(١٦٦) سيرة ابن هشام ٢ — ١٠٣ ، مغازي الواقدي ١ — ٣٤٠ ، الكامل في التاريخ ٢ — ١٦٤ ، وتاريخ الطبري ٢ — ٥٣٦

وهذا السوق محل التقاء البضائع المختلفة من إنتاج مصرى أو شامى أو يمنى أو فارسى أو عراقى يغتنم العرب وجود مثل هذه البضائع الفريدة التى تصب فى سوقهم والتى لا يبلغونها بوسيلة أخرى إلا بشق الانفس فيشترونها ويتفاخرون باقتنائها ، والحلة الفارسيــة التى تأتى بها اللطيمة أو تأتى عن طريق اليمن مهداة إلى ملوكها من أفخر ما يعرض بهذا السوق يتنافس الأشراف على شرائها وإهــدائها أو نهبها قبل أن تصل السوق ، فهذا مثــلا حكيم بن حزام — قبل أن يدخل الإيمان فى قلبه — يشترى حلة سيف بن ذى يزن فيهديها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيرفضها لأنه لم يك مسلماً آنذاك(١٦٧) ، ويشترى نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر السهميان حلتين من لطيمــة كسرى التى اعترضت لها بنــو يربوع فأخــذوها وباعوها بســوق عكاظ ، فيفخران بارتدائهما فى اجتماع من اجتماعات قريش فى دار الندوة ، ويشدان الأنظار إليهما وإلى جمال تينك الحلتين(١٦٨) ، وتدخل سنة خمس وثلاثين من عام الفيل فيكتظ السوق بالقبائل ويبيع الناس ما كان معهم من إبل وبقر ونقد ويبتاعون أمتعة مصر والشام والعراق(١٦٩) ، أما اللطيمة التى تأتى محمــلة طيباً وغيره من فارس فترجع محملة فالعصب والبرد والأدم والحرير والوكاء والحــذاء والوشى والمسير العــدنى وغــير ذلك من طرائف اليمن(١٧٠) ولك أن تتخيل ما يقصد من طرائف اليمن .

ومن أهم ما يجلب فى هــذا السوق الرقيق سواء كان رقيقاً أصلا أو كان

---

(١٦٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/١١٤ — ٤١٥

(١٦٨) المنمق ٤٢٨

(١٦٩) الأزمنة والامكنة ٢ — ١٦٨

(١٧٠) أنساب الأشراف ١٠٠ — ١٠١ ، شرح ديوان أبى تمــام ٣ — ٣١٢ ، الأغانى ١٩ — ٧٥

مأسوراً ولم يفد فاسترق ، ولقد أمسك النخاس بأذنى صحابيين جليلين قبل إسلامهما ونادى ببيعها فى سوق عكاظ وهما زيد بن حارثة وصهيب رضى الله عنهما ، فاشتراهما شريفان من أشراف مكة اشترى أولهما من بنى القين حكيم بن حزام بستمائة درهم(١٧١) واشترى ثانيهما جواد قريش عبد الله ابن جدعان وأعتقه(١٧٢) ، ومن الإماء الشهيرات اللواتى جلبن إلى سوق عكاظ أم عمرو بن العاص النابغة بنت عبد الله ، ولقد « خاطر رجل أن يقوم إلى عمرو بن العاص وهو فى الخطبة فيقول : أيها الأمير من أمك ؟ فقال له : النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها عبد الله ابن جدعان للعاصى بن وائل فولدت فأنجبت ، فإن كانوا جعلوا لك شيئاً فخذه »(١٧٣) وقد يجلب العربى ماسرقه من ماشية أو متاع إلى هذا السوق فيتعرف عليه أو يخشى من التعرف عليه فلا يجد له مشترياً أو يجر عليه شراً مستطيراً فقد « حكى أن بعض لصوص العرب قرب إبلا للبيع فى سوق عكاظ فقيل له : ما نارك ؟ وكان أغار عليها من كل وجه ، وإنما سئل عن ذلك لأنهم يعروفون ميسم كل قوم وكرم إبلهم من لؤمها فقال :

تسألنى الباعة أين نارها ... إذ زعزعتها فسمت أبصارها

كل نجار إبل نجارها ... وكل نار العالمين نارها(١٧٤)

وهذا ابن الخمس التغلبي يثأر لأبيه فيقتل الحارث بن ظالم ويأخذ سيفه فيأتى

---

(١٧١) أنساب الأشراف ١٠ — ٤٦٧

(١٧٢) المنمق ٣١١

(١٧٣) العقد الفريد ١ — ٥٤

(١٧٤) بلوغ الارب ٢ — ١٦٣

به عكاظ فيعرضه للبيع ويقول : « هذا سيف الحارث بن ظالم » فيشتريه قيس ابن زهير بن جذيمة العبسى فيعلوه به حتى قتله[١٧٥] .

ومن أطرف مما يباع فى سوق عكاظ القرود — ولست أدرى ما حاجة العرب بها وإليها — فقد عرض قرد مشئوم للبيع سَبَّبَ حرباً عرفت بحرب الفجار الثالثة ، وذلك أنه كان لرجل من بنى جشم دين على رجل من كنانة فلواه به ، وطال اقتضاؤه إياه فلم يعطه شيئاً ، فلما أعياه وافاه الجشمى فى سوق عكاظ بقرد ، ثم جعل ينادى : من يبيعنى مثل هذا الرُّباح بما لى على فلان ابن فلان الكنانى ؟ من يعطينى مثل هذا بما لى على فلان بن كنانة ؟ رافعاً صوته بذلك ، فلما طال نداؤه بذلك وتعييره به كنانة مر رجل منهم فضرب القرد بسيفه فقتله فهتف الجشمى : يا آل هوازن ، وهتف الكنانة : يا آل كنانة فتجمع الحيان واقتتلوا حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى[١٧٦] .

اللطيمة : لعل أهم ما يلفت نظر الباحث هو شهود لطيمة كسرى يبعثها عن طريق النعمان بن المنذر إلى سوق عكاظ ، وسميت بهذا الاسم لما تحمله من طيب وبزّ ففى الصحاح : واللطيمة : العير التى تحمل الطيب وبزّ البحار ، وربما قيل لسوق العطارين لطيمة ، قال ذو الرمة يصف ارطاة تكنس فيها الثور الوحشى :

كأنها بيت عطار تضمنه لطائم المسك يحويها وينتهب »[١٧٧]

---

(١٧٥) العقد الفريد ٦ — ١٤

(١٧٦) الاغانى ١٩ — ٧٤ ، العقد الفريد ٦ — ٨٨ ، المنمق ١٨٦ ، الكامل فى التاريخ ١ — ٥٨٨

(١٧٧) ٥ — ٢٠٣٠

ويقول صاحب القاموس(١٧٨) : « اللطيمة : وعاء المسك أو سوقه أو عير تحمله » أما ابن منظور فقد أطال فى تعريف اللطيمة فقال(١٧٩) : « اللطيمة : وعاء المسك ، وقيل : هى العير تحمله ، وقيل : سوقه ، وقيل : كل سوق يجلب إليها غير ما يؤكل من حر الطيب والمتاع غير الميرة لطيمة ، وفى حديث بدر : قال أبو جهل : يا قوم اللطيمة : أى أدركوها ، واللطيمة : الجمال التى تحمل العطر والبزّ غير الميرة ، الليث ، اللطيمة : سوق فيها أوعية من العطر ونحوه من البياعات ، أبو سعيد ، اللطيمة : العنبرة التى لطمت بالمسك فتفتقت به حتى تشبثت رائحتها ، الفراء ، اللطيمة : سوق العطارين ، أبو عمرو ، اللطيمة : سوق فيها بزّ وطيب ، « ابن السكيت ، اللطيمة : عير فيها طيب » . ويبدو من هذه التعريفات أن اللطيمة إما وعاء الطيب أو عير تحمله أو سوقه ، بمعنى أن العنصر الأساسى فى اللطيمة وما تحمله وما تبيعه هو الطيب وأنواعه ، ولذلك قال عنها التبريزى(١٨٠) «وهى إبل تحمل طيباً وغيره» وخص الطيب لأنه أبرز ما فيها .

ومما يلاحظ أن المؤرخين ينسبونها حيناً لكسرى وحيناً للنعمان بن المنذر والأعجب من ذلك أن ابن حجيب ينسبها مرة لكسرى فى كتابه «المنمق»(١٨١) ثم ينسبها مرة أخرى فى كتابه «المحبر» للنعمان بن المنذر(١٨٢) وممن نسبها إلى كسرى التبريزى فى شرحه لديوان أبى تمام(١٨٣) ، أما

---

(١٧٨) ٤ — ١٧٦
(١٧٩) لسان العرب ١٢ — ٥٤٣
(١٨٠) شرح ديوان أبى تمام ٣ — ٣١٢
(١٨١) ٣٢٠
(١٨٢) ١٩٥
(١٨٣) ٣ — ٣١٢

البلاذري(١٨٤) والأصفهاني(١٨٥) وابن عبد ربه(١٨٦) وابن الأثير(١٨٧) فينسبونها للنعمان بن المنذر ، وعلى كل حال فما أظن أن هناك تناقضاً خاصة وأن النعمان بن المنذر هو أحد ولاة كسرى على العرب ، وكسرى يتعامل مع العرب من خلال النعمان بن المنذر فهو يرسل اللطيمة إليه ثم يقوم النعمان بدوره بإيصالها سالمة إلى سوق عكاظ ، ولذلك قال ابن حجيب(١٨٧) :
« . . . من لطيمة كان كسرى بعث بها إلى النعمان فبعث النعمان بها لتباع بسوق عكاظ » .

واللطيمة هذه لها شأن جليل بما تحمله من طيب وبز تجعل ذؤبان العرب وفتاكها يقتنصونها ، ولأهمية هذه اللطيمة فإن النعمان بن المنذر يرسلها مع سيد مهاب يجيرها ويوصلها إلى سوق عكاظ(١٨٩) ويختار هذا المجير ، ولذلك رفض النعمان عرض البراض أن يجيرها لأنه ضمن أن يجيرها من كنانة فقط ، ورضى أن ينيط حمايتها بعروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب لأنه تعهد أن يجيرها على بنى كنانة وعلى الناس جميعاً(١٩٠) ، واللطيمة ترسل كل عام(١٩١) .

ولئن جلبت هذه اللطيمة خيراً للعرب في سوق عكاظ كل عام فلقد

---

(١٨٤) أنساب الاشراف ١ — ١٠٠
(١٨٥) الاغاني ١٩ — ٧٥
(١٨٦) العقد الفريد ٦ — ٨٩
(١٨٧) الكامل ١ — ٥٩٠
(١٨٨) المنمق ٤٢٨
(١٨٩) العقد الفريد ٦ — ٨٩
(١٩٠) الأغاني ١٩ — ٦٤
(١٩١) أنساب الاشراف ١ — ١٠٠ ، الكامل في التاريخ ١ — ٥٩٠

جرت شراً وبيلا لهم ودارت بينهم معارك بسببها وتعطل السوق ، وما يوم نخلة المشئوم بين كنانة وهوازن والذى هزمت فيه كنانة شر هزيمة إلا نتاج تلك اللطيمة ، وذلك أن البراض الكنانى حقد على عروة الرحال فاختلس غرة فقتله وهو نائم وساق الركاب بما فيها فثأرت هوازن لقتيلها من كنانة ، وتفصيل الحرب ليس هنا موضعه .

وسواء نهبت اللطيمة أم دخلت عكاظ سالمة فإن ما فيها يصب فى سوق عكاظ يبيعه إما صاحبها وإما ناهبها ، ولقد نهبت اللطيمة أربع مرات : مرة على يد البراض كما أسلفنا ، ومرة على يد بنى يربوع بن حنظلة ، نهبتها وساقتها إلى سوق عكاظ وباعت ما فيها واشترى ابنا الحجاج نبيه ومنبه منها حلتين حضرا بهما إجتماعاً لدار الندوة ، يقول ابن حبيب(١٩٢) « وفى القوم يومئذ نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر السهميان ، وعليهما حلتان إشترياهما قبل ذلك من لطيمة كان كسرى بعث بها إلى النعمان فبعث النعمان بها لتباع بسوق عكاظ فاعترضت بنو يربوع بن حنظلة فأخذوها وباعوها بسوق عكاظ » وأنتهبت مرة ثالثة على يد بنى تميم وبنى شيبان ولكنهم هذه المرة لم يمضوا بسلام فقد أراد كسرى أن يؤدبهم فبعث إليهم جيشاً دخيلا(١٩٣) ، أما المرة الرابعة فكانت على يد بنى عامر وقد دفعوا ثمنها غالياً وكان يوم السلان ويروى هذه الحادثة ابن الأثير فيقول(١٩٤) : « ... لما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى أبرويز ، وكان يجهز كل عام لطيمة ، وهى التجارة ، لتباع بعكاظ ، فعرضت بنو عامر لبعض ما جهزه

(١٩٢) المنمق ٤٢٨

(١٩٣) نفس المصدر ٣٢٠

(١٩٤) الكامل ١ — ٦٣٩

فأخذوه فغضب لذلك النعمان وبعث إلى أخيه لأمه وهو وبرة بن رومانس الكابي وبعث إلى صنائعه ووضائعه ، والصنائع : من كل يصطنعة العرب ليغزيه ، والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ وأرسل إلى بنى ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فأجابوه فأتاه ضرار بن عمرو والضبي فى تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف وكان فارساً شجاعاً ، واجتمعوا فى جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرا وأمرهم بتسييرها وقال لهم : إذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الأشهر الحرم ورجع كل قوم إلى بلادهم فاقصدوا بنى عامر فإنهم قريب بنواحى السلان فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا : خرجنا لئلا يعرض أحد للطيمة الملك ... » .

وفى حالة التعرض للطيمة سواء وصلت عكاظ عطورها وبزها أم لم تصل فإن أهل اليمن وأهل الطائف على وجه الخصوص أو إن شئت فقل أهل الحضر هم الذين يتضررون لأنه يقل الطلب على ما جلبوا من أمتعة لا تروق البدوى إعتادت هذه اللطيمة أن ترجع محملة بها بعد أن تفرغ ما فيها ، وعلى رأس تلك البضائع : جلود الطائف(١٩٥) والبرود والعصب اليمنى والمسير العدنى(١٩٦) .

ويعن لى أن اللطيمة إنقطعت عن عكاظ قبل أن يتوقف نشاطها التجارى نتج ذلك عن الخلافات التى نشبت بين كسرى والنعمان والتى أدت إلى قتل النعمان بن المنذر وغضب العرب له إذ ليس من المعقول أن يرسل كسرى لطيمة دون حامية تجيزها على أحياء العرب .

<u>كيفية البيع فى سوق عكاظ</u> : للجاهلية بيوعها الخاصة التى حرمها الشرع

---

(١٩٥) نهاية الأرب ١٥ — ٣٢٥

(١٩٦) أنساب الاشراف ١/١٠٠ — ١٠١ ، الأغانى ١٩ — ٧٥

وفى عكاظ نوع من البيع كان يتعامل به العكاظيون وهو ما يسمى بالسرار ، وصفته عند ابن حبيب والمرزوقى أنه إذا وجب البيع وعند التاجر ألف رجل ممن يريد الشراء ولا يريده فله الشركة فى الربح[١٩٧] ، وقد حاول صاحب (أسواق العرب) أن يجد ما يعنيه على تحديد صفة هذا البيع تحديداً أوضح فرجع إلى أمهات المصادر التى يتوخى منها أن تتعرض لهذا النوع من البيوع كالمعاجم وكتب الحديث والفقه فلم يظفر إلا بما وجد « فى كتاب (المغرب فى ترتيب المعرب) للمطرزى ، وعنه نقل صاحب محيط المحيط ، قال المطرزى : « وفى المنتقى : بيع السرار أن تقول : أخرج يدى ويدك فإن أخرجا معاً أو لم يخرجا جميعاً عادا فى الإخراج[١٨٩] ويزيد صاحب (أسواق العرب) لوناً آخر من البيع يمارس فى عكاظ وهو جس اليد[١٩٩] ، ولست أدرى من أى مصدر إستقى هذه المعلومات رغم أن ابن حبيب والمرزوقى لم يذكرا ذلك وهما اللذان ذكرا كيفية البيع فى سوق عكاظ وسوق صنعاء ، فجس اليد هو البيع الذى يمارس فى سوق صنعاء[٢٠٠] ، هذا وليس فى سوق عكاظ عشور ولا خفارة[٢٠١] :

ومن ممارساتهم التجارية فى هذا السوق الرهن ، والرهن عرفه الجاهليون وقالوا غلق الرهن :

أى لم يوجـــد له تخلص وأغلقت الباب من هذا ، قال زهير :

---

(١٩٧) المحبر ٢٦٧ ، الازمنة والامكنة ٢ — ١٦٥

(١٩٨) أسواق العرب ٥٤

(١٩٩) نفس المصدر ٢٩٢

(٢٠٠) الأزمنة والأمكنة ٢ — ١٦٤

(٢٠١) المحبر ٢٦٧ ، الأزمنة الأمكنة ٢ — ١٦٥

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع وأمس الرهن قد غلقا (٢٠٢)

وأقر الإسلام الرهن وإن كان فيه بعض التفاوت لأن الإسلام أصلحه ، ففي سوق عكاظ يرهن الشيء من متاع وولد وفي الإسلام لا يرهن الولد ، وقصة عبلة الحنظلة التي مرت بنا تبرهن على ذلك فقد باعت سمن زوجها وراحلتيها فشربت الخمر فلما لم تجد ما تدفعه للخمار رهنت ابن أخي زوجها(٢٠٣)

اقتران سوق عكاظ بقريش : رغم أن عكاظ ليس في أرض قريش فإنه اقترن بها كثيراً حتى سماه ابن حبيب بعكاظ قريش(٢٠٤) ، وحتى أن حكيم بن حزام جعله لقريش فقال(٢٠٥) : « وكانت لنا ثلاثة أسواق سوق بعكاظ يقوم صبح هلال ذي القعدة فيقوم عشرين يوما ويحضره العرب . . . » واقترانه بقريش ناتج عن أحد الأسباب الآتية أو جميعها .

١ — إما لأن قريش قوم تجار تعتمد على عكاظ وغيره من الأسواق المجاورة تجلب فيها بضائعها وتشتري ما عند الآخرين ، وقريش أكثر العرب تحضراً ومعرفة بأسباب البيع والشراء ذلك الوقت فهو مصدر من مصادر ثروتها ورخائها ولذلك قال الزمخشري والبيضاوي(٢٠٦) : « كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم ،

---

(٢٠٢) الكامل في الأدب ١ — ١٦
(٢٠٣) الاغاني ١ — ٨٤
(٢٠٤) المحبر ٢٤٧
(٢٠٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ — ٤١٤
(٢٠٦) الكشاف ١ — ٢٦٤ ، تفسير البيضاوي ٦٣

وكانت معايشهم منها » ، ولذلك فقريش تحضرها بأعداد هائلة تجمل المؤرخين حضور قريش بالتعيين وسائر العرب على التعميم ، يقول اليعقوبي[٢٠٨] « وينزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر » ويقول ابن حبيب[٢٠٨] : « وعكاظ بين نخلة والطائف ، وهذه أسواق العرب وقريش » ولاعتماد قريش على عكاظ وما حولها من أسواق نراها تحاول أن توقف الحرب بينها وبين قيس حتى يفرغوا من السوق ، فقريش لا تحتمل مثل هذه الحرب فى مثل ذلك الظرف لأنها ستخسر اقتصاديا ، وكان إيقاف السوق أشد عليها من خوض غمار الحرب يبدو ذلك من قولها لقائد قيس : « لا ينصر فن ولم تقم السوق »[٢٠٩] ، ولهذا السبب نفسه فقد أذعنت قريش لتهديد هوازن وإجبار ابن جدعان على رد إبل كلاب بن ربيعة كما رأيت آنفا .

٢ — وإما لأن سوق عكاظ قريب نسبياً من بلاد قريش فلا يجدون صعوبة ولا معرة فى التسوق بها ، ولذلك يقول الجاحظ[٢١٠] : « وكانوا (قريش وثقيف) بقرب سوق عكاظ وذى المجاز » ولملاحظة ذلك فقد كان عكاظ سوقاً من أسواق مكة ، يقول البكرى[٢١١] : « وكانت عكاظ ومجنة وذا المجاز أسواقاً لمكة فى الجاهلية » ، وهذا أوقع بعضاً من الأقدمين فى وهم جعلهم يحسبون أن عكاظ قريب جداً من مكة ، ومن هؤلاء مجد الدين بن الأثير

---

(٢٠٧) تاريخ اليعقوبى ١ — ٢٧٠

(٢٠٨) المنمق ١٩٠

(٢٠٩) نفس المصدر ١٩٨

(٢١٠) الحيوان ٧ — ٢١٥

(٢١١) معجم ما استعجم ٣/٩٥٩

الذى يقول(٢١٢) : « وهو موضع بقرب مكة كانت تقام به فى الجاهلية سوق يقيمون بها أياماً » ، ومنهم ابن الكلبي الذى جعله بأسفل مكة على بريد منها عربى البيضاء(٢١٣) ومنهم الجوهرى الذى جعله فى ناحية مكة(٢١٤) .

٣ — وإما لأن إقامة سوق عكاظ والأسواق الأخرى القريبة من مكة تعتبر تهيؤاً للحج(٢١٥) إن لم تعتبر جزءاً منه ، فإن من أراد الحج وقف بتلك الأسواق ، يقول القزوينى(٢١٦) : « فكانت العرب إذا أرادت الحج أقامت بسوق عكاظ شهر شوال ، ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز ، فتقيم فيه إلى الحج » وفى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الحاج فى منازلهم فى المواسم مجنة وعكاظ ومنازلهم بمنى ...(٢١٧) مايدل على أن الحاج يذهبون إلى عكاظ قبل منى بل قد يدل على أن عكاظ أحد مواقف الحج فى الجاهلية ، وارتباط قريش بالحج لا يخفى فهى تقوم بخدمة الحجيج وتهيئة مايلزمهم من رفادة وسقاية تشعر بأن ذلك من واجباتها ، وقد يكون لقريش أيضاً نشاط من هذا النوع فى هذه الأسواق التى أكبرها عكاظ ، خاصة إذا كانت تعتبر أن هذه الأسواق من ضروريات التهيؤ للحج .

وتتجلى علاقه عكاظ القوية بالحج فى أن العرب قرنوا حكومة الموسم

---

(٢١٢) النهاية فى غريب الحديث : ٣ — ١٢٠

(٢١٣) الخزانة : ٤ — ٣٦٠ — ٣٦١

(٢١٤) الصحاح : ٣ — ١١٧٤

(٢١٥) العقد الفريد : ٦ — ٨٩

(٢١٦) آثار البلاد : ٨٥

(٢١٧) دلائل النبوة للبيهقى : ٢ — ١٨١

وقضاءه بحكومة عكاظ وقضائه ، فالذى يلى الموسم يلى عكاظ [٢١٨] ، هذا بالإضافة إلى أن عكاظ أحد مواسم العرب حتى عبر عنه المؤرخون كثيراً بلفظة الموسم كما عبروا عن الحج ، فى الحديث الذى روى قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عكاظ يبحث عن نصير ويدعو إلى الإسلام : « فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم وكان قد أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه سألهم عمن كان فى الموسم فقالوا ... »[٢١٩] ، وفى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه السابق « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الحاج فى منازلهم فى مواسمهم بمجنة وعكاظ ومنازلهم بمنى » ويقول الزمخشرى واصفاً عكاظ[٢٢٠] : « كانت موسماً من مواسم الجاهلية » ، ويقول القزوينى[٢٢١] : « والعرب اجتمعوا فى هذه المواسم » وعد عكاظ منها ويقول الأزهرى [٢٢٢] : « هى اسم سوق من أسواق العرب وموسم من مواسم الجاهلية » ويقول البكرى[٢٢٣] : « وكان حنظلة بن نهد من أشراف العرب له منزلة بعكاظ فى مواسم العرب » ويقول ابن دريد[٢٢٤] : « وعكاظ بهذا سمى وهو موضع لمواسم العرب » ومواسم العرب غير موسم الحج ثلاثة : عكاظ وهو أكبرها وذو المجاز ومجنة ، سميت كذلك لأنها تقوم فى الأشهر الحرم وقبيل موسم الحج أو بعيده تهيؤا له كما فى

---

(٢١٨) المحبر : ١٨٠

(٢١٩) دلائل النبوة لأبى نعيم : ١٠٠

(٢٢٠) تاج العروس : ٥ — ٢٠٤

(٢٢١) آثار البلاد : ٨٥

(٢٢٢) لسان العرب : ٧ — ٤٤٨

(٢٢٣) معجم ما استعجم : ١ — ٣٤

(٢٢٤) الجمهرة : ٣ — ١٢٠

عكاظ وذى المجاز أو تـكملة له كما فى مجنة ، وحينما أتى ابن كثير إلى شرح الآية : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »(٢٢٥) استدل بحديث البخارى : « عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً فى الجاهلية فتأثموا أن يتجروا فى المواسم »(٢٢٦) ويقول ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث(٢٢٧) : « وقد ذكر فى الحديث الثلاث الأول ، وإنما لم يذكر حُبَاشة فى الحديث لأنها لم تـكن من مواسم الحج وإنما كانت تقام فى رجب » ومن هنا نتبين العلاقة بين عكاظ سوق هوازن وبين قريش النجار ومن تقوم بخدمة الحجيج والتهيئة لموسم الحج » .

٤ — وإما لنميز عكاظ السوق عن عكاظ آخر فى صقع آخر قامت فيه حرب كانت بنو أسد أحد طرفيها وعرفت بيوم عكاظ ، وهو غير أيام عكاظ التى وقعت فى السوق أو قريبة منه بين قيس وكنانة ، وابن حبيب هو الذى فرق بينهما بالتسمية — فسمى ذلك اليوم بيوم عكاظ ثم قال(٢٢٨) : « وليس بعكاظ قريش » كى يزيل لبسا قد يخامر الأذهان ، قال ذلك وهو يتحدث عن عوف بن عبد الله بن عامر بن جذيمة أخو بنى قعين الذى قاد بنى أسد ابن خزيمة فى ذلك اليوم .

موقف المسلمين من الاتجار به : رغم أن أسواق العرب — وخاصة عكاظ — كانت مصدراً من مصادر الثروة أو المعيشة للجاهلين فقد رأى من أسلم من العرب أول ماتنفس الإسلام حرجاً فى الوقوف بهذه الأسواق والمتاجرة

---

(٢٢٥) البقرة ، آية : ١٩٨
(٢٢٦) تفسير ابن كثير : ١ — ٢٣٩
(٢٢٧) خزانة الأدب : ٤ — ٤٦١
(٢٢٨) المحبر : ٢٤٧

بها لأنها أسواق جاهلية ، تمارس فيها تقاليد جاهلية وتعبد فيها أوثان وأصنام وتجرى فيها بيوع جاهلية حرمها الشرع ، فأنزل الله سبحانه وتعالى آية : « ليس عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم » وفى سبب نزول هذه الآية يقول البخارى[٢٢٩] : « عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً فى الجاهلية فتأثموا أن يتجروا فى المواسم فنزلت : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » فى « المواسم » ويقول ابن جرير الطبرى[٢٣٠] : « عن ابن عباس قال : كان متجر الناس فى الجاهلية عكاظ وذو المجاز ، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى أنزل الله جل ثناؤه : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » ، ويورد ابن كثير نص حديث البخارى ويزيد[٢٣١] : « ولبعضهم فلما جاء الإسلام تأثموا أن يتجروا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية » ويقول صاحب الكشاف[٢٣٢] : « وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم فى الجاهلية يتجرون فيها فى أيام الموسم وكانت معايشهم منها ، فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح فى ذلك » .

وهناك سنة جاهلية يتبعها أهل الغلو فى دينهم وهو تجنب التجارة أيام المواسم « خاصة موسم الحج لأنهم يرون أن من يتجر فى هذا الموسم فهو داج وليس بحاج ، يقول الزمخشرى[٢٣٣] : « وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج ، وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ، ويقولون : هؤلاء الداج وليسوا بالحاج » .

---

(٢٢٩) صحيح البخارى : ٦ — ٣٤
(٢٣٠) تفسير الطبرى : ٢ — ١٦٤
(٢٣١) تفسير ابن كثير : ١ — ٢٣٩
(٢٣٢) الكشاف : ١ — ٢٦٤
(٢٣٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

نشاط عكاظ الأدبي

إن النشاط الأدبي في سوق عكاظ من أهم مايدور في عكاظ أو إن أردت فهو في المحل الثاني بعد القضاء ، فالعرب تجتمع فيه من كل ناحية ومعها شعراؤها فيحتكون بشعراء القبائل الأخرى فيتناشدون الأشعار ويتذاكرون الأخبار ، فإذا ماعرفنا مما سبق أن عكاظا كتسب اسمه من المعاكظة أمكن لنا أن نتعرف على أن الغرض الشعري السائد في تلك السوق هو الفخر ، وهذا لا يعني استبعاد الأغراض الأخرى كالرثاء مثلا والإشادة بمفاخر من يستحق الإشادة ، وتناشد الشعراء في عكاظ كان ضروريا ضرورة إقامة السوق للبيع والشراء ، يقول القلقشندي(٢٣٤) : « ثم يرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرم فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار ويتحاجون » وقال المرزوقي شارح الحماسة(٢٣٥) : « عكاظ : واد للعرب فيه سوق لهم يجتمع فيها طوائف الناس من جميع الأحياء فيتعارفون فيها ويتعلقون بالأخبار بعد التذاكر بها والتنسم لها ، وبينهم المواعدات والمقايضات والإحن والترات والمنافرات والمناقضات فكل فرقة تتجمل للأخرى وتود أن تسمع فيها ما ليس عندها من حسن وقبيح ومحمود ومذموم إلى غير ذلك من الأنباء السائرة والأوابد العائرة التي يتهادى بها ويستطرف وقوعها ويتبلغ باستماعها وأدائها » ، ويقول الجوهري(٢٣٦) : « عكاظ : اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها في كل سنة فيقيمون شهراً ويتبايعون ويتناشدون شعراً ويتفاخرون » . ومعظم

---

(٢٣٤) صبح الأعشى : ١ — ٤١١

(٢٣٥) شرح الحماسة : ٣ — ١٥١٤

(٢٣٦) الصحاح : ٣ — ١١٧٤

الشعر الذى ينشد فى السوق شعر جديد جادت به قرائح الجاهليين يلقونه فيضمنون انتشاره فى أحياء العرب تتلقفه الرواة فتذيعه ويسمعه أهل النقد فيقرضونه أو يعيبونه، ولذلك . قال ابن حجر(٢٣٧) : « وكانوا يقيمون به جميع شهر شوال يتبايعون ويتفاخرون وتنشد الشعراء ما قد دلهم » وقال السهيلى(٢٣٨) : « وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ فى كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون » وقبل ذلك قال الأزهرى مثل هذا القول(٢٣٩) . ولقد عرف ذلك عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة الذى سارع بعد أن قتل عمرو بن هند وقال قصيدته المشهورة إلى عكاظ فألقاها هناك(٢٤٠) ، ومن شهد عكاظ من العرب رجع إلى من غاب من قومه فأخبرهم بما سمع وما رأى فليس ببعيد أن كل قبيلة تختار مندوباً لها يذهب إلى عكاظ فيشهد عن كثب ما يدور من شعر ومفاخرة ثم يعود فينشر ما سمعه وما رآه بين قومه وقبيلته ولقد أومأ القزوينى إلى ذلك فى قوله(٢٤١) : « والعرب اجتمعوا فى هذه المواسم فإذا رجعوا إلى قومهم ذكروا لقومهم ما رأوا وما سمعوا » وقد وردت بنو عامر عكاظ وخلفوا خلفهم شيخاً كبيراً لا يستطيع وروده فلما رجعوا من عكاظ أخبروه بما أهم بأهم الأحداث التى وقعت فى عكاظ ، وكان الشيخ يسألهم عن ذلك بشغف فكان أهم حدث أخبروه به هو أن محمد بن عبد الله القرشى (رسول الله صلى الله عليه وسلم) كان يدور على أحياء العرب يدعوهم إلى الإسلام(٢٤٢) .

---

(٢٣٧) فتح البارى : ٨ — ٦٧١
(٢٣٨) معجم البلدان : ٤ — ١٤٢
(٢٣٩) لسان العرب : ٧ — ٤٤٨
(٢٤٠) الأغانى : ٩ — ١٨٣
(٢٤١) آثار البلاد : ٨٥
(٢٤٢) دلائل النبوة لأبى نعيم : ١٠٠

وبلغ من اهتمام العرب بالشعر فى عكاظ أنهم كانوا يسلقون القصائد السبع افتخاراً بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل(٢٤٣) وكأنهم يفعلون ذلك إما لتحدى الشعراء أن يقولوا مثل هذه القصائد فهى القمة عندهم فى الفصاحة والجزالة أو لحث الشعراء على أن يحسنوا فى قولهم مثلما أحسن أهل القصائد السبع ، ومن العجيب أننا لا نجد ذكراً لأصحاب المعلقات السبع ماعدا النابغة الذبيانى وعمرو بن كلثوم بين الشعراء الذين وفدوا إلى عكاظ ، ومن تتبع أخبار الشعر والشعراء فى ذلك السوق ألفى أسماء شعراء لامعين كالحكم النابغة الذبيانى والنابغة الجعدى الذى اعتاد أن يأخذ عتيرته معه إلى عكاظ ويهريق دمها على أصنامها(٢٤٤) وحسان بن ثابت والمستوغر وغيلان بن سلمة والأعشى والخنساء وهند بنت عتبة والأغلب العجلى وهديم بن جواس التميمى والراهب المحاربى والسليك بن السلكة وغيرهم ولكل شاعر من هؤلاء نشاط قد يختلف أو يتفق مع غيره فمثلا غيلان بن سلمة كان يحكم بين الناس يوماً وينشد شعره يوماً وينظر الناس إلى وجهه يوماً كما رأيت آنفاً(٢٤٥) ، والراهب المحاربى سمى بهذا الاسم لنشاطه الذى يقوم به فى عكاظ واسمه زهرة بن سرحان ، قال الآمدى(٢٤٦) : « وقيل له الراهب لأنه كان يأتى عكاظا فيقوم إلى سرحة فيرجز عندها ببنى سُليم قائماً ولا يزال كذلك دأبه حتى يصدر الناس عن عكاظ ، وكان فيما يقول :

قد عرفتنى سرحتى فأطّت   وقد ونيت بعدها فاشمطّت

---

(٢٤٣) بلوغ الأرب : ١ — ٢٦٧

(٢٤٤) أمالى المرتضى : ١ — ٢٦٥

(٢٤٥) المحبر : ١٣٥

(٢٤٦) المختلف والمؤتلف : ١٧٩

ولعل أغرب دور أدبى هو ذلك الدور الذى كانت تقوم به الخنساء ثم شاركتها فيه هند بنت عتبة فقد كانت الخنساء تذهب إلى عكاظ لتعاظم الناس فى مصيبتها فى أخويها معاوية وصخر وفى أبيها عمرو لابسة صدارها تتلو مراثيها فيهم عشيتها وضحوتها ، فلما كانت موقعة بدر وقتل المسلمون عتبة ابن ربيعة أبا هند والوليد أخاها وشيبة عمها طفقت ترثيهم وذهبت إلى حيث ينتشر شعرها بين العرب عكاظ وإليك قصتها مع الخنساء(٢٤٧) :

« فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويم الخنساء هودجها فى الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول : « أنا أعظم العرب مصيبة » وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك ، فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك قالت : « أنا أعظم من الخنساء مصيبة » وأمرت بهودج فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وجعلت تندب قتلاها بقولها :

من حسى لى الأخوين كالغصنين أو من راهما
قرمان لا يتظالمان ولا يرام حماهما
ويلى على أبوىّ والقبر الذى واراهما
لا مثل كهلى فى الكهول ولا فتى كفتاهما

وقالت : « اقرنوا جملى بجمل الخنساء » ففعلوا ، فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : « من أنت يا أخية ؟ » قالت : أنا هند بنت عتبة ، أعظم العرب

(٢٤٧) الأغانى : ٤ — ٣٤ — ٣٥

مصيبة ، وقد بلغنى أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم ، فقالت الخنساء : « بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابنى عمرو ، وبم تعاظمينهم أنت ؟ قالت : « بأبى عتبة بن ربيعة وعمى شيبة بن ربيعة وأخى الوليد بن عتبة » قالت الخنساء : « أو سواءهم عندك ؟! » ثم أنشدت تقول :

أبكى أبى عمرا بعين غزيرة ... قليل إذا نام الخلى هجودها

وصنوىِ ، لا أنسى معاوية الذى ... له من سراة الحرتين وفودها

وصخرا ، ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بساهمة الآطال قبّا يقودها

فذلك يا هند الرزية فاعلمى ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها :

أبكى عميدا الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغ يريدها

أبى عتبة الخيرات ويحك فاعلمى ... وشيبة والحامى الذمار وليدها

أولئك آل المجد من آل غالب ... وفى العز منها حين ينمى عديدها

ويعقب صاحب أسواق العرب على هذه القصة بقوله[٢٤٨] : « ولعل هذا المنظر منظر تينك السيدتين بلباسهما الأسود وجمليهما المسومين أطرف منظر شهدته عكاظ » وإنه لكذلك حقاً بيد أن منظر المستوغر بن ربيعة ذلك الرجل المعمر الذى كان يحمل ابن ابنه شيخاً لا يقدر على المشى لا يقل طرافة

(٢٤٨) أسواق العرب : ٢٩٩

عن ذلك وإليك قصته كما أوردتها كتب الأدب(٢٤٩) : « مرّ مرة المستوغر ابن ربيعة بعكاظ يقود ابن ابنه خرفا فأجلسه تحت ظل شجرة وقال : أتعبتني صغيراً وعنيتني كبيراً ، فقال له رجل : ياعبد الله أحسن إليه فطالما أحسن إليك (ظناً منه أنه أبوه) ، قال : أو تدرى من هو ؟ قال : نعم هو أبوك أو جدك ، قال : هو والله ابن ابني ! قال الرجل : لم أر كاليوم في الكذب ولا مستوغر بن ربيعة قال : فأنا المستوغر بن ربيعة » . ويرجز الشعراء في عكاظ إما في تعداد محاسن قومهم كما كان يفعل الراهب المحاربي أو بذم قبيلة أخرى أو بهجاء شاعر آخر ، فقد جمع السوق كلا من الأغلب العجلي وهريم ابن جواس التميمي فأراد هريم التحكك بالأغلب فقال يرجز :

قبحت من سالفة ومن قفا   عبدا إذا مارسب القوم طفا
فما ضفا عديدكم ولا صفا   كما شراد البقل أطراف السفا

فقال له الأغلب : من أنت ويلك ؟ فقال :

أنا غلام من بني مقاعس   الشازرى الخيل بطعن يابس

الضاربين قلل الفوارس

فتركه الأغلب وانصرف(٢٥٠) ، وأخذت الخيلاء من بدر بن معشر مأخذها فجعل يقول :

نحن بنو مدركة بن خندف   من يطعنوا في عينيه لا يطرف

---

(٢٤٩) طبقات الشعراء : ١ — ٣٠٠ ، طبقات ابن سلام : ٢٩ ، معجم الشعراء : ٣١٣ ، المعمرين : ٧

(٢٥٠) معجم الشعراء : ٢٧٣

ومن يكونوا قومه يغطرف   كأنهم لجة بحر مسدف

وهو باسط رجله يقول : « أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز منى فليضرب هذه بالسيف فهو أعز منى » . فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية فضربه على ركبته فأندرها ثم قال :

نحن بنو دهمان ذى التغطرف   بحر لبحر زاخر لم ينزف
نبنى على الأحياء بالمعرف(٢٥١)

ولعل أهم حدث أدبى وقع فى عكاظ ما كان يقدمه الشعراء بين يدى حكمه النابغة الذبيانى الذى كان يجلس للشعراء فيلقون ماجدّ من شعرهم أمامه ثم يصدر حكمه ولقد حكم للأعشى على الشعراء جميعاً ثم تلته الخنساء فى مسابقة شعرية أغضبت حسان بن ثابت رضى الله عنه والقصة مشهورة بين أهل الأدب وإليك إياها(٢٥٢) :

« كان يضرب للنابغة قبه من أدم بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، قال : وأول من أنشده الأعشى ثم حسان بن ثابت ، ثم أنشدته الشعراء ، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد :

وإن صخرا لتأتم الهداة به   كأنه علم فى رأسه نار

فقال : والله لولا أن أبا بصير أنشدنى آنفاً لقلت إنك أشعر الجن والإنس

(٢٥١) العقد الفريد : ٦ — ٨٧ ، المنمق : ١٨٦ ، ١٨٧ ، الكامل فى التاريخ : ١ — ٥٨٩

(٢٥٢) الأغانى : ٩ — ١٦٣ وقد رويت بطرق كثيرة فيها بعض الإضافات فانظر مثلا : الموشح : ٨٢ — ٨٣ ، الاغانى : ٨ — ١٩٤ — ١٩٥

فقام حسان فقال : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ! ، فقال له النابغة : يا ابن أخي ، أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى   وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن فى حبال متينة   تمد بها أيد إليك نوازع

فخنس حسان لقوله » .

ولقد ناقشت هذه الحادثة وحكم النابغة فى فصل « حكام عكاظ » نقاشاً كافياً وما أريد أن أضيفه هو الكيفية التى كان يجلس بها النابغة الذبيانى فهو حيناً يجلس تحت قبة من أدم حمراء تضرب عليه كما رأيت من القصة السابقة وحيناً يجلس على كرسى دون قبة حمراء كما يدل على ذلك قول الشريسى(٢٥٣) : « وكان النابغة الذبيانى يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسى ينشدونه » ، ومن تينك الهيئتين اللتين يجلس النابغة فقد نعرف أن للنابغة وظيفتين : أحدها وظيفة الحكومة بين الشعراء وحينئذ تضرب عليه القبة الحمراء من أدم ، وثانيتهما : جلوسه للشعراء الناشئين يلقون شعرهم أمامه فيوجههم ويجيزهم شفهياً كما فعل ذلك زهير مع ابنه كعب(٢٥٤) والفرزدق مع الكميت الأسدى(٢٥٥) وحينئذ فإنه يجلس على كرسى ، ويبدو لى أن تلك القبة الحمراء من الضخامة بمكان تتسع لأعداد كبيرة من الشعراء ذلك أن الشعراء يلقون شعرهم أمام النابغة وهم معه فيها ، وقصة حكم النابغة تذكر أن الشعراء يجتمعون إليه فيها وأن حسان بن ثابت دخل إليه عندما أراد أن ينشده وعنده

---

(٢٥٣) شرح المقامات : ٤ — ٣٥٠
(٢٥٤) الأغانى : ١٥ — ١٤٨
(٢٥٥) نفس المصدر والجزء : ١٢٤ — ١٢٥

الأعشى ، أما حينما يجلس النابغة على كرسيه فإن الشعراء المبتدئين يلقون شعرهم أمامه فى الهواء أوفى السوق أو فى بيت من الشَّعر أو تحت سرحة .

وشهدت عكاظ أنواعاً أخرى من النشاطات الأدبية ، وأهم هذه النشاطات

١ — الخطب : الخطبة والشعر عنـد الجاهليين صنوان فهما أداة التعبير وهما التاريخ وديوان العرب ، وللخطبة والخطباء مقام عند العرب لا يقل عن مقام القصيدة والشاعر وقد تفوق الخطبة القصيدة شهرة وأهمية خاصة إذا كان قائلها أحد حكماء العرب كقس بن ساعدة الإيادى أو أكثم بن صيفى ، وأشهر خطبة ارتجت بها عكاظ والبطاح من حولها ورددت صداها العبلاء والحريرة تلك الخطبة التى ألقاها قس بن ساعدة الأيادى والتى أرتاح لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن كان فى عكاظ ، ورغم شهرة هذه الخطبة فإنى سأوردها لمناسبتها فى هذا المقام ، يقول قس[٢٥٦] : « أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، كل ما هو آت آت ، ليل داج ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة ، إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا ، ما بال النـاس يذهبون ولا يرجعون ؟! أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ؟! ، يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيـه إن لله دينـاً هو أرضى لـكم وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه ، إنـكم لتأتون من الأمر منكراً :

فى الذاهبـين الأولـين من القرون لنـا بصـائر

لمـا رأيت مـواردا للموت ليس لهـا مصادر

(٢٥٦) البداية والنهاية : ٢ — ٢٣٥ ، البيان والتبيين : ١ — ٣٠٨ ، العقد الفريد : ٤ — ١٨٦ ، شرح المقامات للشريشى : ٤ — ٣٩٤ — ٣٩٨

ورأيت قـــومى نحـــوها تمضى الأكابر والأصاغر
أيقنـــت أنى لا محـــا لة حيث صار القوم صائر »

عرفنا مما سبق الهيئة التى يكون عليها حكم عكاظ الأدبى وبقى أن نعرف الهيئة التى كان عليها الشاعر أو الخطيب حين يلقى قصيدته أو خطبته ، ورغم أن قصة المسابقة الشعرية التى حكم فيها النابغة لم تذكر كيف كان الشعراء يلقون قصائدهم فإن لدينـا بعض المعلومات التى تشير إلى ذلك فمن رجز بمحاسن قومه فإنه عادة يقف كما كان يفعل ذلك الراهب المحاربى(٢٥٧) وقصة الخنساء وعتبة تفيد أن كليهما كانت تلقى شعرها فى هودجها على بعيرها المسوم(٢٥٨) . أما الخطيب فقد كان يقف على منبر أو جمل فقد ذكر المرزوقى أنه « كانت بعكاظ منابر فى الجاهلية يقـوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله ومآثره وأيام قومه من عام إلى عام فيما أخذت العرب أيامها وفخرها»(٢٥٩) ، وكان قس بن ساعدة حينما ألقى خطبته المشهورة على جمل أو رق أو أحمر ، ولقـد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد إياد وهو يسألهم عن قس(٢٦٠) ، مهما نسيت فلن أنساه بسوق عكاظ واقفاً على جمل أحمر يخطب الناس . « اجتمعوا فاسمعوا » فالتفت إلى أصحابه فقال : أيكم يروى شعره لنا ! فقال أبو بكر الصديق : فداك أبى وأمى أنا شاهد له فى ذلك اليوم حيث يقـول :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر ... »

---

(٢٥٧) المختلف والمؤتلف : ١٧٩
(٢٥٨) الأغانى : ٤ — ٣٥
(٢٥٩) الأزمنة والأمكنة : ٢ — ١٧٠
(٢٦٠) البداية والنهاية : ٢ — ٢٣٤

وفى عكاظ سرحة مشهورة كان يجلس تحتها الناس يتحدثون ويتناشدون، وبلغ من شهرة هذه السرحة أن ذكرها الشعراء فى شعرهم فقال راشد بن شهاب

بذم يغشى المرء خزيا ورهطه
لدى السرحة العشياء فى ظلها الأدم

قال ابن قتيبة فى تعريفه بهذه السرحة(٢٦١) : « السرحة : شجرة كانت بعكاظ يجتمعون عندها ويتحدثون فى ظلها وكان الأدم يباع تحتها » ، ولعلها نفس السرحة التى كان الراهب المحاربى يرتجز تحتها والتى اجتمع الناس فيها يستمعون إلى الأعشى وهو ينشدهم قصيدته فى المحلق الكلابى(٢٦٢) .

٢ — التعرف على ما عند الآخرين من فصاحة وبيان وحكمة : فالناس ترد عكاظ لتمتار سلعاً وتتزود بخبر أو يعود بحكمة ، وعكاظ سوق تجمع الجالب والشاعر والحكيم والعاقل فهى بقعة تتلاقح فيها العقول والأفئدة ، وكما تسوق به أكثم بن صيفى وقس بن ساعدة والقلمس الكنانى من حكماء وفصحاء العرب فقد تسوقت فيه ابنتا الخس جمعة وهند المشهورتان بالفصاحة والبيان والعقل وكان شهودهما السوق مما يحرص عليه طلاب البيان والفصاحة فيجتمعون بهما ويمتحنانهما ، فقد « أتت ابنة الخس عكاظ فأتاها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها فقال لها : إنى أريد أن أسائلك ، قالت : هات ، قال : كاد ، فقالت : المنتعل يكون راكباً ، قال : كاد ، فقالت : الفقر يكون كفراً ، قال : كاد ، قالت : العروس تكون ملكاً ، قال : كاد ، قالت : النعامة تكون طائراً ، قال : كاد ، قالت : السرار يكون سحراً ، ثم قالت للرجل : أسائلك ، قال :

---

(٢٦١) المعانى الكبير : ٢ — ٨٠٦
(٢٦٢) الأغانى : ٨ — ٨٠

هاتِ : قالت : عجبت ، قال : للسباخ لا ينبت كلؤها ولا يجف ثراؤها ، قالت عجبت ، قال : للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها ، قالت : عجبت ، قال ... الخ »(٢٦٣) وحدث أن وافت ابنتا الخس كلاهما عكاظ فى الجاهلية فاجتمعتا عند التلمسى الكنانى فقال لهما : إنى سائلكما لأعلم أيكما أبسط لساناً ، وأظهر بياناً ، وأحسن للصفة اتقاناً ، فسألهما عن الإبل والخيل والمعزى والسحاب والنساء والرجال ثم طلب منهما أن يقولا شعراً فقالتا فقال : « أحسنتما وأجملتما فبارك الله فيكما » ووصلهما وحباهما(٢٦٤) : وأخيراً فإن جنبات عكاظ كانت تكتظ بالشعر والشعراء والخطب والخطباء والبيان وأهل البيان .

---

(٢٦٣) عيون الأخبار : ٢ — ٢١٤

(٢٦٤) القصة مبسوطة فى كتاب « بلاغات النساء » من ص ٨٠ إلى ص ٨٦

مدى نشاط عكاظ الأدبى فى الإسلام

كان هذا الموضوع يشغل ذهنى شغلا لم يشغله موضوع آخر وحينما أزمعت الكتابة عنه طفقت أبحث فى كتب الأدب والتاريخ لعلى أعثر على مايقودنى إلى الجزم بأن سوق عكاظ الأدبى استمر بعد انتشار الإسلام بين القبائل التى كانت تحضر سوق عكاظ وأن الشعراء وحكام الشعر كانوا ينتجعونه فعثرت على نصين لا يغنيان فى الدلالة القطعيه فتيلا وإن كانا صالحين للاستئناس بهما فقط إن وجدت نصوص أخرى أوضح دلالة وأقوى حجية ، وهذان النصان عبارة عن بيت شعر للفرزدق يفخر به على جرير ، وقصة مقتل ابن الدمينة الشاعر الأموى الغزل ، أما بيت الشعر فقد أورده صاحب النقائض وهو :

فاجمع مساعيك القصار ووافنى   بعكاظ يا ابن مربق الأجمال

والبيت رغم ما فيه من ذكر لعكاظ فلا يفيد فى الحقيقة أن سوق عكاظ الآتية كانت قائمة آنذاك وإنما رمز بعكاظ إلى مكان التماجد والتفاخر ولذلك يقول صاحب النقائض فى شرح هذا البيت : « أى حتى نتماجد أينا أكرم وأمجد »(٢٦٥) ومعروف أن مكان تماجد جرير والفروزدق ومفاخرتهما هو المربد ولم أجد نصاً فى حياة الشاعرين يفيد أنهما وقفاً فى سوق عكاظ ينشدان ويتماجدان أما قصة مقتل ابن الدمينة فيسوقها كل من ابن حبيب فى كتابه « أسماء المغتالين من الأشراف » ويذكرها أيضاً الأصفهانى(٢٦٦) ، يقول

---

(٢٦٥) ١ — ٢٨٤

(٢٦٦) الأغانى : ١٥ — ١٥٣

ابن حبيب(٢٦٧) : « فخرج مصعب بن عمرو فى طلب ابن الدمنية فأتى العبلاء فإذا بنجيب واقف برحله فى السوق ، وإذا هم قوم مجتمعون وابن الدمنية ينشدهم » وقد ناقشت هذا النص فى بحثى عن موقع سوق عكاظ(٢٦٨) ، ورجحت أن العبلاء هذه ليست هى العبلاء القريبة من عكاظ والتى وقع فيها يوم من أيامها لأن ابن الدمنية خثعمى(٢٦٩) والعبلاء التى ذكرها ابن حبيب والأصفهانى هى العبلاء التى فى بلاد خثعم وقد ذكر ذلك أصحاب معاجم البلدان كالبكرى(٢٧٠) وياقوت(٢٧١) ومثلا .

ومن هنا أستطيع أن أجزم بأن سوق عكاظ الأدبية اندثرت بعد انتشار الإسلام بين هوازن وثقيف خاصة والقبائل العربية التى كانت ترتاد ذلك السوق قبل إسلامها لتنشد شعرها فى التماجد والتفاخر والمنافرة والمصائب والنياحة عامة ، ويؤيد هذا الرأى ما عثرت عليه من نصوص تؤكد أن سوق عكاظ انتهى بظهور الإسلام ، يقول الخليل بن أحمد(٢٧٢) : عكاظ : اسم سوق كانت العرب تجتمع فيها كل سنة شهراً ويتناشدون فيها ويتفاخرون ثم يتفرقون فهدمه الإسلام » ويقول الجاحظ(٢٧٣) : « وكانوا بقرب سوق عكاظ وذى المجاز ، وهما سوقان معروفان ، ومازالتا قائمين حتى جاء الإسلام ، ويفاد هذين النصين أن سوق عكاظ اندثر بعد مجيء الإسلام ، ويقول

---

(٢٦٧) أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) : ٢ — ٢٧١

(٢٦٨) نشر فى جريدة عكاظ الأسبوعية .

(٢٦٩) الشعر والشعراء (ليدن) : ٤٥٨

(٢٧٠) معجم ما استعجم : ٣ — ٩١٨

(٢٧١) معجم البلدان : ٤ — ٨٠

(٢٧٢) كتاب العين : ١ — ١٢٢

(٢٧٣) الحيوان : ٧ — ٢١٥

الأزهري[٢٧٤] : « وهو (عكاظ) بقرب مكة كان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهراً يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون فلما جاء الإسلام هدم ذلك » ويورد الجوهري عبارة شبيهة بعبارة الأزهري ويذيلها بقوله[٢٧٥] : « فلما جاء الإسلام هدم ذلك » والإشارة في عبارة كل من الأزهري والجوهري لا تعود كما أفهمها على عكاظ نفسها وإنما على ما كان يدور مما ذكراه من مبايعة وتفاخر وتناشد ، وعلى هذا فالإسلام إذن هدم ما كان يدور في عكاظ من نشاطات جاهلية كالتفاخر والتناشد على غرار ما كان يدور هناك .

ولعل سائل يسأل فيقول : سبق أن ذكرت ما قاله البكري ومن نقل عنه من أن سوق عكاظ هو أول سوق ترك بسبب نهب الحرورية له سنة مائة وتسع وعشرين هجرية فكيف توفق بين الآراء التي ترى أن سوق عكاظ انتهى بظهور الإسلام وبين ما رآه البكري ؟ أقول : رغم أني أرجح أن سوق عكاظ انتهى بظهور الإسلام كسوق عام تأتيه العرب من كل مكان فإني لا أرى بأساً من التوفيق بين الرأيين على النحو الآتي :

إن السوق التي كانت قائمة حتى زمن الحرورية هي السوق التجارية وحتى قيام السوق التجارية منذ انتشار الإسلام وكثرة الفتوحات قد تقلص وأصبح هذا السوق سوقاً محلياً كغيره من الأسواق ولم يعد ذلك السوق العالمي الذي تصب فيه عطور وبز فارس مع اللطيمة وتحف الشام واليمين والعصب والمسيّر العدني لأن العرب لم تعد بحاجة إلى ذاك السوق ، أما ما كان من أمر سوق عكاظ الأدبية فقد حلّ سوق المربد محلها ، والمربد كان قائماً منذ عهد الخلفاء

---

(٢٧٤) لسان العرب : ٧ — ٤٤٨

(٢٧٥) الصحاح : ٣ — ١١٧٤

الراشدين يؤمه الخطباء والأدباء والشعراء والفصحاء ، خطبت فيه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها يوم الجمل وخطب فيه طلحة بن عبد الله من الصحابة(٢٧٦) رضى الله عنهم ، وشهد معارك الرجز بين أبى النجم العجلى وبين العجاج(٢٧٧) ومعارك الشعر بين جرير والفرزدق وبين جرير والراعى النميرى(٢٧٨) ، وامتاز المربد عن عكاظ بحضور الشعراء الناشئة فيه يتلقون من الفحول فأبو نواس وبشار بن برد وإبراهيم النظام وغيرهم من شعراء الدولة العباسية الأولى تتلمذوا فى تلك السوق على فصحاء العرب ، وقصده الرواة والنحاة واللغويون يكتبون الشعر ويأخذون الشواهد النحوية واللغوية من فصحاء العرب وبلغائهم(٢٧٩) ، وكان المربد أكبر رافد للمدرسة النحوية البصرية .

---

(٢٧٦) الكامل فى التاريخ : ٣ — ٢١٢ — ٢١٣

(٢٧٧) الاغانى : ٩ — ٧٤

(٢٧٨) طبقات فحول الشعراء : ١٠٤

(٢٧٩) الأمالى والنوادر : ٣ — ١٨٦

المنافرات

من النشاطات الأدبية التى تدور فى عكاظ وأحببت أن أفرد لها فصلا مستقلا لأهميتها المنافرات إذ ليس ثمة شىء يمثل الحياة الجاهلية كما تمثلها المنافرات فروحها جاهلية ، وأسلوبها جاهلى وتعتمد على الجدل الجاهلى والمفخرة الجاهلية ، والمنافرات شائعة بين العرب ليس فى عكاظ فقط فمنافرة علقمة بن علاثة وعامر ابن الطفيل المشهورة جداً لم تقع أحداثها فى عكاظ [٢٨٠] ولكن مناسبة عكاظ للمنافرات أشد ماتكون فهى تمثل المعاكظة بكل معانيها ، ومن منافرة علقمة وعامر تبين أنه ليس من السهولة بمكان أن تجد حكما يفصل بين المتنافرين لئلا يعرض نفسه لأحدهما ، أما فى عكاظ فإن حكم القضاء من عدوان أو تميم هو الذى يبتّ بين المتنافرين بعد أن يستمع إلى حجة كل منهما ولدده .

وأهمية المنافرات من ناحية أدبية أو تاريخية لا تقل بأى حال من الأحوال عن أهمية القصيدة أو الخطبة فى العصر الجاهلى ، فالمنافرة وثيقة تاريخية لحياة العرب فى الجاهلية كما كانت القصيدة والخطبة ، وهى لا تقل عنهما من حيث الأسلوب الأدبى كما لا تقل من حيث المدلول التاريخى ، وأسلوب المنافرة لابد أن يكون أسلوباً ناصعاً جزلا يعتمد على الحجة والمقارعة وقد لا يهم فيه المنطق كما يهم فيه الأسلوب البين الجزل ، ومن كان ألحن من صاحبه فى لدده وأشد بياناً فى حجته فاز فى منافرته ، فعلى هذا فإن أهم عنصرين فى المنافرة : أن يكون للمنافر مجد أو منعة يبنى عليهما منافرته وخصومته وأن

---

(٢٨٠) الأغانى : ١٥_٥٣_٥٦

يكون المنافر متسلحاً بالبيان والقدرة الأدبية ومن خانه الحظ فى واحدة منهما فهو لا شك مغلوب وهذا ما حدث لعلقمة بن علاثة مع عامر ، ومن هنا تبين لنا أن المنافرة قطعة أدبية رائعة قد تحرى فيها الدقة والبيان (ولولا روحها الجاهلية التى لا نريد لها حياة ولا نشورا بين ظهرانيننا لدعونا إلى عرض بعض المنافرات على طلاب الأدب فى مدارسهم) ولنرى ذلك دعنا نستعرض منافرتين من منافرات عكاظ إحداهما احتاجت إلى قضائه فبت فيها عادلا أو غير عادل وثانيتهما لم تصل إلى القضاء لأنها مسألة تفضيل شريف على شريف فى تزويج ابنه :

المنافرة الأولى : كانت بين جرير بن عبد الله البجلى وخالد بن أرطاة الكلبي وكان حكمها الأقرع بن حابس التميمى رضى الله عنه وكان يسأل كل واحد من المتنافرين عما عنده فيدلى به ثم يقارن بين قوليهما فيحكم لأحكمهما قولا وأصدقهما فخراً ، وإليك نموذجاً من تلك المنافرة :

« فقال الأقرع ما عندك يا خالد ؟ : قال : ننزل البراح ، ونطعن بالرماح ، ونحن فتيان الصباح ، قال الأقرع : وما عندك يا جرير ؟ قال : نحن أهل الذهب الأصفر والأحمر المعتصر (يعنى الخمر) نخيف ولا نخاف ، ونطعم ولا نستطعم ، ونحن حى لقاح ، ونطعم ما هبت الرياح ، نطعم الشهر ، ونضمن الدهر ، ونحن الملوك قسر ، قال الأقرع : واللات والعزى لو فاخرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم فارس والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم »[٢٨١] وقصة هذه المنافرة طويلة وظريفة واقتصاداً منى فسأكتفى بهذا القدر ، والقصة بطولها ذكرها كل من البغدادى والألوسى نقلاها من ابن الأعرابى فى كتابه « فرجة

---

(٢٨١) النقائض : ١ — ١٤١

الأديب»(٢٨٢) ، ولقد صدق الأقرع فى حكمه الذى بناه على تصور البيئة الجاهلية آنذاك ، ولو استعرضنا ما قاله المتنافران ونظرنا إلى المفخر الذى استندا عليه وإلى الأسلوب الذى عبر به لما كان لنا إلا أن نحكم لجرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ، وعلى هذا فإن من اتهم الأقرع بن حابس بمحاباته لجرير البجلى لم يكن على حق .

المنافرة الثانية : اجتمع يزيد بن عبد الموان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ ، وقدم أمية بن الأسكر الكنانى ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها ، فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية بن الأسكر : من هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المدان بن الديان وهذا عامر بن الطفيل ، فقالت : أعرف بنى الديان ولا أعرف عامر ، فقال : هل سمعت بملاعب الأسنة ؟ فقالت : نعم ، قال فهذا ابن أخيه ، وأقبل يزيد فقال : يا أمية ، أنا ابن الديان صاحب الكتب ، ورئيس مذحج ، ومكلم العقاب ، ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دما ، ويدلك راحتيه فتخرجان ذهباً ، فقال أمية : بخ بخ ، (فقال عامر : جدى الأخرم ، وعمى ملاعب الأسنة ، وأبى فارس قرزل ، فقال أمية : بخ بخ !) مرعى ولا كالسعدان فأرسلها مثلا ، فقال يزيد : ياعامر هل تعلم أن شاعراً من قومى رحل بمدحة إلى رجل من قومك ؟ قال : اللهم لا ، قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومى ؟قال : اللهم نعم ، قال : فهل لكم نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان ؟ قال : لا ، قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ، قال : نعم فنهض يزيد وأنشأ يقول :

أمىّ يا ابن الأسكر بن مدلج لا تجعلن هوازنا كمذحج

---

(٢٨٢) الخزانة [بولاق] ٣ — ٣٩٦ـ٣٩٧

إنك إن تلهج بأمر تلجج   ما النبع فى مغرسه كالعوسج

ولا الصريح المحض كالممزج

قال : فزوج أمية بن يزيد بن عبد المدان ابنته ، فقال يزيد فى ذلك (قصيدته التى قالها :

يا للرجال لطارق الأحزان   ولعامر بن طفيل الوسنان

فقال عامر يجيبه (بقصيدته التى مطلعها) :

عجباً لواصف طارق الأحزان   ولما يجىء به بنو الديان »[٢٨٣]

ويلحظ المرء من أول نظرة ما للمنافرة من أسلوب فهى تعتمد على الجملة القصيرة المحكمة والسجعة المقبوله وإن كنت تلمح فيها أحياناً بعض التصنع الذى يوحى إلينا بما يسمى بسجع الكهان وإن كان سجع المنافرة أقل تكلفاً وأحلى لفظا ، والإيجاز الذى ينفذ إلى المقصد رأساً دون لف أو إلماح ودون فضول أهم مميزات أسلوب المنافرة ، وقد لا تخلو المنافرة من أبيات يرجز بها المنافر فى ثنايا منافرته كما رأيت فى منافرة يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل .

---

(٢٨٣) الأغانى : ١٠ — ١٤٥ — ١٤٦

النشاط الديني

كما مارس العرب نشاطاتهم التجارية والأدبية والاجتماعية فقد مارسوا نشاطاتهم الدينية الضالة من عبادة أنصاب وذبح قرابين وطوفان بصخور وتعريب عتيرة وسدانة أصنام ، وما عكاظ فى الحقيقة وما يدور فيها من نشاطات متعددة الجوانب إلا معرض لأوابد العرب و نشاطاتهم الجاهلية ، وأشهر صنم يعبد فى عكاظ هو صنم (جِهار) ، يقول عنه ابن حبيب(٢٨٤) : « وكان جهار لهوازان بعكاظ ، وكان سدنتها آل عوف النصريون وكانت معهم محارب فيه وكان فى سفح جبل أطحل » ولم يسم المؤرخون صنما فى عكاظ غير جهار إلا أن هناك أنصاباً وصخوراً يطوفون حولها فى سوق عكاظ ، يقول عرام بن الأصبغ السلمى(٢٨٥) : « وعكاظ صحراء مستوية ليس لها جبل ولا علم إلا ما كان من الأنصاب التى كانت فى الجاهلية وبها من دماء البدن كالأرطاء العظام » وأورد البكرى هذا النص بعينه وإن لم ينسبه إلى عرام(٢٨٦) . وفى الأثيداء حيث يقام السوق صخرة أو صخور كان العرب يطوفون حولها ويقدسونها ، يقول ابن حجر(٢٨٧) : « وكان المكان الذى يجتمعون به فيه يقال له الأثيداء ، وكانت هناك صخور يطوفون حولها » ويقول الأصمعى(٢٨٨) : « وكان هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها » والأصفهانى والألوسى يريان أن هناك

---

(٢٨٤) المحبر : ٣١٥

(٢٧٥) أسماء جبال تهامة (نوادر المخطوطات) : ٢ — ٤٤٠

(٢٨٦) معجم ما استعجم : ٣ — ٩٥٩

(٢٨٧) فتح البارى : ٨ — ٦٧١

(٢٨٨) معجم البلدان : ٤ — ١٤٢

صخرة واحدة هى التى يطاف حولها ويحج إليها ، يقول الأول(٢٨٩) : « وكانوا يطوفون بتلك الصخرة يحجون إليها » وقال الثانى(٢٩٠) « وكانوا يطوفون بصخرة هناك ويحجون إليها » ولعل هذه الصخرة هى الجبيل الأطحل الذى يستند عليه جهار والذى أشار إليه ابن حبيب .

ورغم كثرة ما عند العرب من أصنام وما يحضر عكاظ من قبائل مختلفة تعبد أصناماً متعددة فلم أجد دليلا يفيد أن العرب كانت تحضر معها أصناماً لها وإنما يطوفون بالصخور ويعبدون جهاراً صنم هوازن يعتبرونه مشعراً من المشاعر يحجون إليه كما رأيت من نصى الأصفهانى والأصمعى ، والعرب تهل له كما تهل للحج ولهم تلبية خاصة حين ينسكون لجهار وهى : « لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك ، اجعل ذنوبنا جبار ، واهدنا لأوضح المنار ومتعنا وملّنا بجهار »(٢٩١) وله سدنته يقومون بخدمة هـذا الصنم وقيادة الطقوس الدينية من بنى عوف النصريين ولمحارب شركة فيه معهم كما رأيت من نص لابن حبيب سابق .

وبعض العرب الذى يحجون لهذا الصنم أو للصخور قربه يسوقون معهم قرابين تسفك على قدمى هذا الصنم أو تلك الصخور ويسمونها العتيرة ، يسوقونها معهم من بلادهم ، ولقد ساق النابغة الجعدى عِتراً معه إلى عكاظ ، يقول لأمامة مفتخراً يسوق هذه العتر من بلاده وذبحها هناك(٢٩٢) :

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الأوثان

ولقد شهدت عكاظ قبل محلها عنها وكنت أعد ملفيتان

---

(٢٨٩) بلاد العرب . ٣٢

(٢٩٠) بلوغ الأدب : ١ — ١٩١

(٢٩١) المحبر : ٣١٢

(٢٩٢) أمالى المرتضى : ١ — ٢٦٥

النشاطات القبلية والسياسية

كما كان العرب يجتمعون فى سوق عكاظ للإنشاد والمحاجة كذلك كانوا يجتمعون للتفاخر والإشادة بمآثرهم وفعال قومهم ، وتفاخرهم حيناً بالشعر وحيناً بالخطب والمنافرات ، وسبق لنا أن استشهدنا بقول المرزوقى(٢٩٣) : «وكانت بعكاظ منابر فى الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وأيام قومه من عام إلى عام فيما أخذت العرب أيامها وفخرها » ولكن استشهادنا هذه المرة له دلالة أخرى وهى أن العرب كانوا يجتمعون فى عكاظ للتفاخر وتعداد المآثر ، ولذلك يقول الفرزدق لجرير .

فاجمع مساعيك القصار ووافنى بعكاظ يابن مربق الأحمال

قال شارح هذا البيت : « أى حتى نتماجد أينا أمجد وأكرم ... »(٢٩٤).
وأراد قوم من العرب أن يروا الناس مالهم من مكرمات وأعمال ليس بالشعر والخطبة والمماكظة وإنما بالإنفاق والعمل ، يفعل ذلك بعض لشهامة وكرم تأصلا فيهم ويفعله آخرون للشهرة والسمعة الحسنة ، وبغض النظر عن الدافع فالمكرمات عند العرب كثيرة وعكاظ كانت محلا مناسباً لإعلانها وإبدائها ، فهذ عبد الله بن جدعان تأخذه الأريحية فيحمل فى ماله بين الفريقين المتحاربين فى حرب الفجار الثانى فيرضى الطرفان وينهيان الحرب والخلاف(٢٩٥) وهذا

---

(٢٩٣) الأزمنة والامكنة : ٢ — ١٧٠
(٢٩٤) النقائض : ١ ــ ٢٨٤
(٢٩٥) الأغانى ١٩ ـ ٧٤

عامر بن الطفيل يرسل منادياً إلى عكاظ فينادى : « هل راجل فأحمله ، أو جائع فأطعمه ، أو خائف فأؤمنه »[٢٩٦] ، ونداء عامر على إطلاقه يشمل كل محتاج إلى ركوب أو طعام أو أمن سواء كان شريفاً أم غير شريف ، أما حرب ابن أمية فسجل له التاريخ بعض المكرمات غير أنها تختلف عن نداء عامر فأمية يخص بمكرماته أهل الفضل ، يقول صاحب النقائض[٢٩٧] : « وكان حرب بن أمية يدعو الناس رجلين رجلين فيكرمهما ويخص بذلك أهل الفضل » وحاجة العرب إلى ما تضمنه نداء عامر من إطعام وأمن أشد مساساً من خص أهل الفضل بالتكريم ، وحقيقة الأمر أن أكثر المكرمات فى عكاظ كان لها علاقة قوية بالكرم وخاصة الإطعام والناس فى عكاظ يحتاجون إلى ذلك فقد يتزودون بزاد قليل أو لا يتزودون اتكالا على ماسيجدونه من طعام يقدمه أهل الكرم فهذا « الصعق » وهو خويلد بن عمرو بن كلاب « كان سيداً لطيم بعكاظ »[٢٩٨] وهذا سعد بن زيد مناة ينهب معزاة فى عكاظ فغضب عليه ابنه صعصعة فانطلق من عنده[٢٩٩] ، وقصة سعد هذه كما يلى[٣٠٠] : « فى ناحية من عكاظ وقف شيخ هم حطمته السنون فلا يكاد يستقل واقفاً ومن ورائه معزى كثيرة تكاد تملأ السهل وأسارير الشيخ ناطقة بالغضب وحرج الصدر ، وإن الناس يتساءلون — وقد عرفه بعض وجهله بعض : ما باله ؟ فيجيب المجيب : « ذلك سعد بن زيد مناة بن تميم الملقب بالغزر أكثر قومه مالا وولداً » ويجتمع عليه الناس وقد علموا أن له لشأناً ، فإذا به يقول : « أيها الناس ألا إن هذه

---

(٢٩٦) الدرة الفاخرة : ١ـ٣٣٣ و مجمع الأمثال : ٢ـ٨٦

(٢٩٧) ١ـ١١٩

(٢٩٨) جمهرة أنساب العرب : ٢٨٦

(٢٩٩) النقائض : ٢ـ١٠٦٤

(٣٠٠) أمثال الضبى : ٢٢ (عن كتاب أسواق العرب : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وانظر الاشتقاق : ٢٤٥

معزى فلا يحل لرجل أن يدع أن يأخذ منها شاة ، ولا يحل لرجل أن يجمع منها شاتين » فاندفع الناس على الغنم ينتهبونها ويذهب كل لطيته ، فما هو أن يسأل سائل عما حمل سعدا على إنهاب معزاه حتى يعلم أنه طلب يوماً إلى ابنه هبيرة أن يسرح فى معزاه فيرعاها فأجاب هبيرة : « وإن لا أرعاها من الحسل » فنادى سعد ولده الآخر صعصعة قائلا : « يا صعصعة اسرح فى غنمك » قال : « ولا والله لا أسرح فيها ألوة الفتى هبيرة » فغضب سعد وسكت على ما فى نفسه حتى إذا أصبح ساق المعزى كلها إلى عكاظ فكان منه ما رأى الناس » وسواء كانت الدوافع التى جعلت سعد بن زيد مناة ينهب معزاه كرماً أم قطع أمل كما فهم من العرب ، فالحادثة وقعت فى عكاظ وانتفع منها وافدوا عكاظ . ويفد نهيك ابن مالك مكة وعكاظ بطعام ومتاع للتجارة فيرى الناس مجهودين فينهبهم العير بما عليها ويتقاطر الناس على أرزاقه فى عكاظ « يأخذ كل ما يقشع به عن نفسه وأهله الجوع والفقر ، فلما انكشف الناس ولم يبقوا فى أرض عكاظ من مال نهيك شيئاً ، وكان الخبر قد طار فى أقطار عكاظ ، أقبل خاله عليه يعاقبه على إنهاب ماله ، فقال نهيك :

يا خال ذرنى ومالى ما فعلت به	وما يصيبك منه إننى مودى
إن نهيكا أبى إلا خلائقه	حتى تبيد جبال الحرة السود
فلن أطيعك إلا أن تخلدنى	فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدى؟
الحمد لا يشترى إلا له ثمن	ولن أعيش بمال غير محمود »[٣٠١]

وما قيل فى عكاظ من حسن أو قبيح ضمن له الانتشار والذيوع بين العرب ،

---

(٣٠١) الإصابة : ٦ — ٨٤

فهى أخطر منتهى جاهلى ولذلك كان العرب يتجملون لغيرهم حتى لا يسمع منهم شىء مذموم وحتى يسمعوا ما عند غيرهم من هنات ومثالب [٣٠٢]، ولخطورة ما يقال فى عكاظ فقد هدد أمية بن خلف حسان بن ثابت بأنه سيقول فيه ما يدب إلى عكاظ وما دب إلى عكاظ دبّ إلى أرجاء جزيرة العرب آنذاك، يقول أمية بن خلف[٣٠٣] :

ألا مبــلغ حسان عنى   مغلغلة تدب إلى عــكاظ

ويرد عليه حسان رضى الله عنه بأنه سينشر لهم كلاماً بعــكاظ فيقول[٣٠٤] :

سـأنشر إن حييت لـكم كلاما   ينشر فى المجامع من عــكاظ

ولرب كلمة فى عكاظ قيلت فى مدح سوقة رفعته إلى مراتب الأشراف وكلمة قيلت فى ثلب شريف وضعته، ولعل خير مثال على ذلك قصة الأعشى مع المحلق الـكلابى فقد «كان الأعشى يوافى سوق عكاظ فى كل سنة، وكان المحلق الـكلابى مئناثا مملقاً، فقالت له امرأته : يا أبا كلاب ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر! فما رأيت أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً. قال ويحك؟ ما عندى إلا ناقتى وعليها الحمل! قالت الله يخلفها عليك قال : فهل له بدّ من الشراب والمسوح، قالت إن عندى ذخيرة لى ولعلى أن أجمعها. قال : فتلقاه قبل أن يسبق أحد وابنه يقوده فأخذ الخطام، فقال الأعشى : من

---

(٣٠١) الاصابة . ٦ — ٨٤

(٣٠٢) شرح الحماسة للمرزوقى . ٣ — ١٥١٤

(٣٠٣) تاج العروس . ٥ — ٢٥٤

(٣٠٤) فتح البارى . ٨ — ٦١٧

هذا الذى غلبنا على خطا منا ؟ قال : المحلق ، قال : شريف كريم ، ثم سلمه إليه فأناخه ، فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ثم سقاه ، وأحاطت بناته به يغمزونه ويمسحنه . فقال : ما هذه الجوارى حولى ؟ قال : بنات أخيك وهن ثمان شريدتهن قليلة . قال : وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئا ، فلما وافى سوق عكاظ إذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى ينشدهم :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرق

فسلم عليه المحلق ، فقال له : مرحباً ياسيدى بسيد قومه ، ونادى: يامعشر العرب هل فيكم مذكار يزوج ابنه إلى الشريف الكريم ! قال : فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة إلا وقد زوجها»(٣٠٥)

ومن حمد فعلا لأحد أو اعترف بجميل لفاعله وأراد أن يكافئه فإنه يذهب إلى عكاظ ويرفع عقيرته بمدحه والثناء عليه باسم أو بتعبير يعرف منه مقصده فلقد صرع ضرار بن عمرو فى الميدان فاجتمع عليه (إخوته لأمه حتى أنقذوه فأراد أن يشكرهم على هذه الفعلة وأن ينوه بالأخوة للأم وأنهم يقفون مع الأخ كما يقف معه الإخوة للأب فذهب إلى عكاظ ، يقول الجاحظ(٣٠٦) : « وكان إخوته (ضرار بن عمرو) قد استشالوه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعكاظ فقال : « ألا إن خير أم حائل أم فزوجوا الأمهات » وذلك أنه صدع بين القنا فأشبل عليه إخوته لأمه حتى أنقذوه » .

(٣٠٥) الأغانى ٨ — ٨٠

(٣٠٦) البيان والتبيين : ١ — ١٩٣

وكما ينوه بالشخص الكريم ينوه كذلك بالشخص المذنب يقوم الخطيب بتعداد مساوئه وجناياته ويحذر الناس منه ومن الإصهار إليه، يقول المرزوقى[٣٠٧] « وكان إذا غدر الرجل أو جنى جناية عظيمة انطلق أحدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ فيقوم الرجل يخطب بذلك الغدر فيقول : ألا إن فلان بن فلان غدر فاعرفوا وجهه ولا تصاهروه ولا تجالسوه ولا تسمعوا منه قولا » ، ورفع الراية للرجل الجانى عرف تخذه الناس فى عكاظ حتى يعرف الرجل الغادر .

هذا ويبدو لى أن للعكاظيين ثلاث طرق يعاملون بها المسىء :

أحدها : أن يقف الرجل خطيباً فيعدد مساوئه ويحذر الناس من الاستماع له والجلوس معه والإصهار إليه كما رأيت من نص المرزوقى .

ثانيتهما : أن يرفع للرجل راية عرفوها براية الغدر فتنصب بالسوق وعليها إمارات تدل على من رفعت له أو يحملها الرجل الذى يقف فيخطب بغدره أو يحملها رجل فيطوف بها مضارب العرب فى عكاظ ، وقد سبق أن رأيت ماقاله المرزوقى من أن لرجل إذا غدر أو جنى جناية عظيمة انطلق أحدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ وممن رفع لهم راية غدر عامر بن جوين الطائى حينما صنع بامرىء القيس بن حجر ما صنع ، يقول المرزوقى[٣٠٨] « وإن عامر بن جوين بن عبد الرضا رفعت له راية غدر فى صنيعه بامرىء القيس بن حجر فى وجهه إلى قيصر » ، وهذا عبد الله بن جدعان يهدد أحد بنى قشير بأن يرفع

---

(٣٠٧) الأزمنة والامكنة ٢ — ١٧٠

(٣٠٨) نفس المصدر والصفحة .

له راية غدر فى عكاظ إن منعه من زوجته ضباعة فيخاف من هذه الرايه أشد الخوف فيقلع عن إرادته ، وقصة ضباعة هذه يرويها ابن حبيب كما يأتى(٣٠٩) « كانت ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب تحت هوذة ابن على بن ثمامة الحنفى ، فهلك فأصابت منه مالا كثيرا ثم رجعت إلى بلاد قومها ، فخطبها عبد الله بن جدعان التيمى إلى أبيها فزوجه إياها . فأتاه ابن عم لها يقال له حزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير فقال : زوجنى ضباعة ، قال : قد زوجتها ابن جدعان ، قال : فحلف ابن عمها ألا يصل إليها أبدا وليقتلنها دونه قال : فكتب أبوها إلى ابن جدعان يذكر ذلك ، فكتب إليه ابن جدعان : والله لئن فعلت لأرفعن الك راية غدر بسوق عكاظ » .

ويبدو لى أن لرفع الراية فى سوق عكاظ أربع مدلولات :

١ — أن ترفع لغدر فتسمى « راية غدر » كما رأيت .

٢ — أن ترفع لوفاء فتسمى « راية وفاء» وقد رفعت هـذه الراية لعامر ابن جوين رفعتها بنو فزارة لترد بها على راية الغدر التى نصبت له فى سوق عكاظ ، يقول المرزوقى(٣١٠) بعد أن ذكر راية الغدر التى رفعت لعامر بن جوين « ورفعت له فزارة راية وفاء فى صنيعه بمنظور بن سيار حيث أقحمته السنة فصار بماله وإبله وأهله إلى الجبلين فأجاره ووفى له ، وصار الناس بين حامد له وذام فذهبت مثلا » .

٣ — أن ترفع لبناء فيعرفها مريدوه ، يقول ابن حبيب(٣١١) : « ومن

---

(٣٠٩) المنمق ٢٧٠ .
(٣١٠) الأزمنة والأمكنة ٢ — ١٧٠
(٣١١) المحبر ٣٤٠ .

سفنهم أنهم كانوا يكسبون بفروج إمائهم ، وكان لبعضهن راية منصوبة فى أسواق العرب فيأتيها الناس فيفجرون بها فأذهب الإسلام ذلك وأسقطه فيما أسقط ، ولهن أولاد ونسل كثير معروف » .

٤ — أن ترفع على جمل من تعاظم العرب بمصيبتها لتلفت النظر إلى ذلك فتعرف ، وقد فعلت ذلك كل من الخنساء وهند بنت عتبة حينما اجتمعتا بعكاظ لتعاظما العرب فى مصيبتيهما[٣١٢] .

ولا شك أن كل راية من هذه الرايات الأربع تختلف عن الأخرى شكلا أو لوناً أو هيئة حتى تعرف من غيرها .

ثالثهما : أن يجعل للجانى أو الغادر مثل مثاله فيعلق فى رمح فينصب بسوق عكاظ وهذا أشنع ما يمكن أن يفعل بغادر ولا يفعل ذلك به إلى بعد أن تنصب له راية الغدر ويقوم الخطيب يخطب بغدره ويحذر الناس منه ومن مصاهرته فلا يقلع عن غدره أو جناياته ، ويقول المرزوقى[٣١٣] : « فإن أعبث وإلا جعل له مثل مثاله فى رمح فنصب بعكاظ فلعن ورجم ، وهو قول الشماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه   مقام الذئب كالرجل اللعين »

وقد يجر الرجل على قومه جرائر لا تحتملها فتذهب إلى عكاظ وتنادى على الملأ من العرب أنها لا تحتمل جريرة ذلك الفتاك وتشهدهم على خلعته ،

---

(٣١٢) الاغانى : ٤ — ٣٤

(٣١٣) الأزمنة والأمكنة ٢ — ١٧٠

بسوق عكاظ وأشهدت العرب على نفسها بخلعها إياه فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه(٣١٤) وبرئت خزاعة أمام العرب بفعلها ذلك فى سوق عكاظ .

ومهما يكن من أمر فإن من شنع عليه فى عكاظ أو فعل دنيئة وعلم بها أهل عكاظ يرى مستخذيا مطرقا من سوء ما فعل فلا يفاخر ولا يناشد وكأن على رأسه الطير من إستخذائه وإستكانته ، وكثيراً ما كانت تكنى العرب عمن فعلوا سيئة أو غدروا بأن أسماءهم مجدعة حين يردون عكاظ أو أن على أفواههم فداما أو كأن على رءوسهم الغراب ، يقول أبو المؤرق الهذلى فى هجائه لبنى ليث(٣١٥) :

إذا نزلت بنو ليث عكاظ رأيت على رءوسهم الغرابا

يقول شارح ديوان الهذليين : « كأن على رءوسهم الغراب من سكونهم لذلهم وإستحيائهم من غدرهم » ، وحدث أن أغار بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى على بنى يربوع بالأفاقة فأسروه وهزموا جيشه فقال الحارث ابن همام :

قبح الإله عصابة من وابل يوم الأفاقة أسلموا بسطاما
كانت لهم بعكاظ فعلة سىء جعلت على أفواههم فداما(٣١٦)

وهذه إمرأة يقتل زوجها وتتهم جيرانه بإسلامه أو بالغدر به فتعيرهم بأنهم

---

(٣١٤) الاغانى : ١٣ / ٢

(٣١٥) ديوان الهذليين ٢/٧٧٩

(٣١٦) معجم البلدان . ١ـ٢٢٦ ، النقائض . ٢ـ١٠٦٩

سيقفون غداً بعكاظ وكأنهم مصلومو الآذان لما يسمعون من التشهير بهم ويخزيهم فتقول هذه المرأة :

متى تردوا عكاظ توافقوها ... بأسماع مجادعها قصار
أجيران ابن مية خبرونى ... أعين لابن مية أم ضمار
تجلل خزيها عوف بن كعب ... فليس لخلفها منه اعتذار

يقول المرزوقى شارحاً البيت الأول : متى وردتم عكاظ وافيتموها أذلاء قد اكتسيتم عاراً يخزيكم ويلازمكم ، فتصير كالمثلة عليكم ، فكأن آذانكم قد إستوعب صلمها ، عقوبة لكم بما عاملتم به جاركم من إحقار»(٣١٧) أما التبريزى فيقول فى شرحه(٣١٨) : « يقول : إذا وردتم عكاظ وهو واد للعرب فيه سوق لهم ووافقتم أهلها تصاممتم للكثرة ما تسمعون من مثالبكم فشبهتم بمن جدع سمعه » .

ليت شعرى ، هل يفهم من هذه النصوص أن عكاظ كان منتدى تقوم فيه أخلاق الرجال ويسهم باصلاح ما اناد منها ، فالعربى إذا ما عرف أن ستقام له راية غدر أو يشهر به فى عكاظ لدرجة تجعله يستخذى ويستكين فلن يجرؤ على ارتكاب غدر أو فعل ينكره العرب فى عكاظ ! :

وكما يشهر بأهل الغدر واللؤم فى عكاظ فان الأشراف يعرفون وتعرف منازلهم ويعطون صلات وجوائز ، وكان الأشراف يتوافون بها من كل مكان

---

(٣١٧) شرح الحماسة : ١٥١٤/٣
(٣١٨) شرح الحماسة : ٤١/٤

من بعيد وقريب من شمال الجزيرة يحضرها بنو شيبان(٣١٩) ومن جنوبها يحضرها الهمدانيون فقد روى عن أعشى باهلة أنه قال : « خرج مالك بن مريم الهمدانى فى الجاهلية ومعه نفر من قومه يريد عكاظا »(٣٢٠) ، فيعطون أهل الفضل ويخصونهم دون سواهم فقد كان حرب بن أمية يدعو الناس رجلين رجلين فيكرمهما ويخص بذلك أهل الفضل كما مر بك آنفاً(٣٢١) ، وكما تعطى الأشراف فإنهم يتسلمون من الملوك صلات وجوائز يبعثون بها إليهم فى عكاظ فكسرى يرسل جائزة مع اللطيمة ليرى أعز العرب وأمنعها فيعطيها إياه وملوك اليمن تبعث بهدايا تليق بالشريف ، يقول المرزوقى(٣٢٢) :

وكانت فيها أشياء ليست فى أسواق العرب كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد والحلة الحسنة والمركوب الفاره فيقف عليها وينادى عليه ليأخذه أعز العرب يراد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته » ، ويشير ابن الجوزى إلى أن كسرى كان يبعث فى ذلك الزمان بالسيف القاطع والفرس الرائع والحلة الفاخرة فتعرض فى تلك السوق وينادى مناديه « إن هذا بعثه الملك إلى سيد العرب » فلا يأخذه إلا من أذعنت له العرب جميعاً بالسؤدد فكان آخر من أخذه بعكاظ حرب بن أمية ، وكان كسرى يريد بذلك معرفة ساداتهم ليعتمد عليهم فى أمور العرب فيكونوا عوناً على إعزاز ملكه وحمايته من العرب »(٣٢٣) ، وهذا من خصائص سوق عكاظ كما أشار إلى ذلك نص المرزوقى .

---

(٣١٩) الفاخر : ٢٥٧
(٣٢٠) معجم البلدان : ١٤٨/١
(٣٢١) النقائض . ١١٩/١
(٣٣٢) الازمنة والأمكنة : ٢ — ١٦٥
(٣٢٣) مثير العزم الساكن فى فضائل البقاع والاماكن لابن الجوزى مخطوطة (عن أسواق العرب ٢٨١ .

وقد يشطح بى الخيال فأفهم من مدلول ماذكره ابن الجوزى من إرسال كسرى الهدايا إلى سيد العرب أن هذه العملية كانت عملية تجسس حتى يعرف أقوياء العرب ولذلك ذيلها بقوله : « وكان كسرى يريد بذلك معرفة ساداتهم ليعتمد عليهم فى أمور العرب فيكونوا عوناً على إعزاز ملكه وحمايته من العرب » وكان كسرى يحتاج إلى ذلك يحتاج إلى أعزاء العرب ليمنعوه ، أما إرسال ملوك اليمن الهدايا للأشراف فهو مجرد تقدير لهم ولذلك فإن مناديهم يأمرهم بالوفادة عليهم حتى يحسنوا صلتهم ووفادتهم ، والوفادة على الملوك فى تلك الأزمان كانت غاية الشرف وقليل من العرب حصل له ذلك . ولا يستطيع أحد أن ينكر التجسس فى عكاظ أو سماه طريف العنبرى بالترسم حين قال :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة   بعثوا إلى عريفهم يتوسم

أو ما يمكن أن يسمى بالتعرف على ثغرات القوم ومساكنهم ومقدرتهم وهذه التسميات تدخل ضمن نطاق التجسس بصورة أو بأخرى ، وكان بعض من له ترات على آخرين يرد عكاظ فيتعرف على من يريد وأسماه طريف بالعريف ، ويأتى الفاتك والصعلوك منسلا بين أحياء العرب يتعرف على ثغراتهم ومساكنهم ولقد خدع سليك بن السلكة قيس بن المكشوح فى عكاظ حتى عرفه على منازل قومه فغزاهم ، فقد « سمع قيس بن المكشوح سليك بن السلكة يقول بعكاظ وهو لا يعرفه : من يصف لى منازل قومه وأصف له منازل قومى ؟ فقال قيس : خذ بين مهب الجنوب والصبا ، ثم سر حتى لا تدرى تدى أين ظل الشجرة فإذا انقطعت المياه فسر أربعاً حتى تبدو خطمة وجيهم وهناك رملة وقف بينهما الطريق ، فإنك لا ترد على قومى مراد وخثعم ، فقال

سليك : خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى ، العـامد لها من أفق السماء فهناك منازل قومي من بنى سعد بن زيد مناة ، فلمـا انصرف قيس إلى قومه أخبره الخبر ، فقال له أبوه المكشوح : أتدرى من لقيت ثكلتك أمك ؟ قال : هو والله سليك المقانب ، فلم يلبثوا أن أغار عليهم وأسر قيسا جريحاً ، وأصاب من نعمهم ما عجز عن حمله » (٣٢٤) .

وقد يقتل الرجل فلا يدرى من هو قاتله فيرد أهله عـكاظ فيتعرفون على أثر يدلهم على قاتل صاحبهم ، فهذا شأس بن زهير يقبل من عند النعمان محملا بعطاياه وكان من ضمنها قطيفة حمراء ذات هدب وطيلسان وطيب فيقتله رياح بن الاشل لأنه اغتسل أمام زوجته دون أن يستتر وغيب أثره فانقطعت أخبار شأس ومكث زهير أبوه وقومه ينشدونه مدة من الزمن فلا يتضح لهم سبيله فوردوا عكاظ فرأوا امرأة رياح بن الأشل تبيع بعـكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما حباه به الملك فعند ذلك يتقنوا أن صاحبهم رياح بن الأشل (٣٢٥) وحدث أن ذهب سعيد بن ضبة ليرد إبل أبيه فقابله الحارث بن كعب فقتله فمضت سنون وضبة لا يدرى من هو قاتل ابنه سعيد فحج ثم وافى عـكاظ فقابل الحارث بن كعب فعرف أنه قاتل ابنه بعد استجوابه له فأخذ منه سيفه وصرعه به (٣٢٦) .

---

(٣٢٤) معجم ما استعجم ٢ — ٤١١ ، الاغانى ١٨ — ١٣٥

(٣٢٥) العقد الفريد ٦ — ٣ ، معجم ما استعجم ٤ — ١٢٧١

(٣٢٦) مجمع الامثال ١ — ١٩٨

الاستغاثة والمباهلة

الاستغاثة : لاأحد يستطيع أن ينكر ماعند العربى من أريحية ونخوة يهب إذامادعى ويغيث إذا ما استغيث ، ومن العرب من يضام فتخذ له قبيلته خوفا أوعجزا فيحتاج إلى من ينصره ، فيؤم عكاظ فهناك الأشراف والفرسان والسراة ويبحث عمن يغيثه بينهم وقلما يرجع خائبا ، وطريقتهم فى الاستغاثة أن يأتى منازل من يقصد ممن يتوسم فيهم نصرة وقوة فينادى ليلا بذكر استغاثته ومن استغاث بهم فروده ، ويظل كذلك حتى يجد من ينصره ، وإنها لكبيرة على أية قبيلة أن ترفض نداءه لأنه سيشنع بها فى نداء آخر أمام قبيلة أخرى ، فهذان رجلان من هوازن يقال لهما عامر وعمرو يجاوران فى بنى مرة « وكانا قد أصابا دما فى قومهما ثم إن ابن عاصم المتقدى أغار على بنى مرة بن عوف بن ذبيان فأصاب عامرا أسيرا فى عدة أسارى كانوا عند بنى مره ، ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازنى فاستغاث أخوه بوجوه بنى مرة سنان بن أبى حارثه والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحصين بن الحمام فلم يغيثوه ، ركب الهوازنى إلى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلا فنادى :

دعوت سنانا وابن عوف وحارثا — وعاليت دعوى بالحصين وهاشم
أعيذهم فى كل يوم وليلة — بترك أسير عند قيس بن عاصم
حلفيهم الأدنى وجار بيوتهم — ومن كان عمن سرهم غير نائم
فصموا وأحداث الزمان كثيرة — وكم فى بنى العلات من متصامم
فياليت شعرى من لإطلاق غمة — ومن ذا الذى يحظى به فى المواسم

فسمع صوتا من الوادى ينادى بهذه الأبيات :

ألا أيهـذا الذى لم يجب   عليك بحى يجلى الـكرب
عليك بذا الحى من مذحج   فإنهم للاضى والغضب
فناد يزيد بن عبد المدان   وقيسا وعمر بن معد يكرب
يفكوا أخاك بأموالهم   وأقلل بمثلهم فى العرب
أولاك الرءوس فلاتعـدهم   ومن يجعل الرأس مثل الذنب

فاتبع الصوت فلم يرى أحدا : فغدا على المـكشوح قيس بن عبد يغوث المرادى فقص عليه قصته وأمر الأبيات التى سمعها ثم قال له : « بدأت بك لتفك أخى » فقال المـكشوح : والله إن قيس بن عاصم لرجل ماقارضته معروفا قط ولاهو لى بجار ، ولـكن اشتر أخاك منه وعلى الثمن ، ولا يمنمك غلاؤه » . ثم أتى عمرو بن معد يكرب فقال له مثل ذلك وسأله : « هل بدأت بأحد قبلى؟ قال : نعم « بدأت بقيس المـكشوح » قال : « عليك بمن بدأت به » فتركه وأتى يزيد بن عبد المدان فقال : « ياأبا النضر إن قصتى كذا وكذا :.. » فقال له : « مرحبا بك وأهلا ، أبعث إلى قيس بن عاصم فان هو وهب لى أخاك شكرته ، وإلا أغرت عليه حتى يتقينى بأخيك ، فان نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بنى تميم بنجران فاشتريت به أخاك» فقال أخو الأسير : «هذا الرضا» فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الابيات :

ياقيس أرسل أسيرا من بنى جشم   إنى بكل الذى تأتى به جازى
لاتأمن الدهر أن تشجى بغصته   فاختر لنفسك إحمادي وإعزازى
فافـكك أخا منقر عنه وقل حسنا   فيما مثلت وعقبه بانجاز

فبلغه الرسول ذلك وقال : « إن يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام

ويقول لك : إن المعروف قروض ومع اليوم غـد ، فأطلق لى هـذا الجشمى فقد استعان بأشراف جشم فلم يبلغ حاجته فاستجار لى ، ولو أرسلت إلى فى جميع أسارى مضر بنجران لقضيت حقك » فقال قيس بن عاصم : لمن حضره من تميم : « هذا رسول يزيد بن المدان سيد مذحج وابن سيدها ومن لايزال له فيـكم يد ، وهذه فرصة لـكم فما ترون ؟ قالوا . « نرى أن نغلبه عليه ونحكم فيه شططا فانه لن يخذله أبدا ولو أتى ثمنه على ماله كله » فقال قيس » : بئسما رأيتم ، ألاتخافون سجال الحروب ، ودول الايام ، ومجازاة القروض ؟ » فأبوا عليه فقال : « بيعونيه » فاشتطوا فى ثمنه فأرسل يزيد إلى السعدى وقال له : « احتكم » فقال : « مائة ناقة ورعاؤها معها » فقال يزيد ، « إنك لقصير الهمة قريب الغنى ، جاهل بأخطار بنى الحارث ، أما والله لقد غبنتك ياأخا بنى سعد ولقد كنت أخاف أن يأتى ثمنه على جل مالنا ، ولـكنكم يابنى تميم قوم قصار الهم » وأعطاه ما احتكم ، وفك الأسير الذى بقى هو وأخوه مجاورين لمن فكه حتى ماتا بنجران »(٢٢٧) .

وتلم بثقيف ملمة فتحتاج إلى من يعينهم فيذهب سيدهم عروة بن مسعود الثقفى إلى عـكاظ فيستغيث ويستنفر الناس ولـكنهم أبوا أن يعينوه لسبب من الأسباب ، ولذلك فان عروة حينما عتب فى أمر من الأمـور على ثقيف يذكرهم باستنفاره أهل عكاظ فيقول :(٢٢٨) « أى قوم ، ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلى ، قال : أولست بالولد ؟ ، قالوا : بلى ، قال . فهل تتهمونى ؟ قالوا : لا ، قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى »

---

(٢٢٧) الاغانى ١٠/١٤٨ — ١٥٠

(٢٢٨) تاريخ الطبرى ٢ — ٦٢٦

المباهلة : لعله من المستحسن أن نبدأ بتعريف المبـاهلة عند اللغـويين والمفسرين ونقتصر على تعريفين أحدهما ماذكره ابن منظور(٣٢٩) : « قال أبو عمرو : أبهل الوالى رعيته أو استبهلها : إذا أهملها ومنه قيل فى بنى شيبـان : استبهلها السواحل ، قال النابغة فى ذلك :

وشيبـان حيث استبهلتها السواحل

أى أهلها ملوك الحيرة لأنهم كانوا نازلين بشط البحر ، وقال الشاعر فى بابل أبهلت :

إذا استبهلت أو فضها العبد حلقت بسربك يوم الورد عنقـاء مغرب

وقال أبو عبيد : حدثنى بعض أهل العلم أن دريد بن الصمة أراد أن يطلق امرأته فقالت : أتطلقنى وقد أطعمتك مأدومى وأتيتك باهلا غير ذات صرار ؟ ، والبهل . اللعن ، وفى حديث ابن الصبغاء قال : الذى بهله بريق : أى الذى لعنه ودعا عليه رجل اسمه بريق ، وبهله الله بهلا : أى لعنه ، وعليه بهلة الله وبهلته : أى لعنته ، وفى حديث أبى بكر : من ولى من أمورالناس شيئا فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله أى لعنة الله ، ومعنى المباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا » .

وثانيهما ما ذكره المفسر القمى النيسابورى(٣٣٠) : « التباهل : أن يقول كل واحد منهما : بهلة الله على الكاذب منا : أى لعنته ، ويقال بهله الله : أى

---

(٣٢٩) لسان العرب ١١/٧١ — ٧٢

(٣٣٠) غرائب القرآن ٣ — ٢١٢

لعنه وأبعده من رحمته ومنه قولهم : أبهله إذا أهمله ، وناقته باهل : لاصرار عليها بل هى مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها وأخذ لبنها لا قوة بها على الدفع عن نفسها فكأن للمباهل يقول : إن كان كذا فوكلنى الله إلى نفسى وفوضنى إلى حولى وقوتى وخلانى من خلانه وحفظه هذا أصل الابتهال ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا » .

وكان العرب يتباهلون فى جاهليتهم ويحسون خطورة هذا التباهل وأنه قد تحل اللعنة على الكاذب منهما أو يقتل الصادق الكاذب ، وكانت عكاظ محل هذه المباهلة لأنه يقام فى الشهر الحرام من ناحية والعرب « لا يدعو بعضهم على بعض إلا فيه » (٣٣١) ولأن العرب تحضره بأعداد هائلة من ناحية أخرى ، وحفظت لنا كتب الأدب والتاريخ بعض هذه المباهلات ، وأشهرها مباهلة قعنب بن عتاب الرياحى لبجير بن عبد الله العامرى ، وذلك : « أن قعنب ابن الحارث بن عمرو بن همام اليربوعى التقى هو وبجير بن عبد الله بن عامر ابن سلة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بعكاظ والناس متوافقون فقال بجير : « ياقعنب مافعلت البيضاء فرسك ؟ قال : هى عندى ، قال : فكيف شكرك لها ؟ ، قال : وما عسيت أن أشكرها به ، قال : وكيف لا تشكرها وقد بختك منى قال قعنب : ومتى كان ذاك ؟ قال : حين أقول :

لو أمكنتنى من بشامة مهجتى ... للاقى كما لاقت فوارس قعنب

تمطت به البيضاء بعد اختلاسه ... على دهش وخلتنى لم أكذب

---

(٣٣١) ديوان الهذليين ٢ — ٩٠٣

فأنكر ذلك قعنب وتلاعنا وتداعيا أن يقتل الصادق منهما الكاذب ونذر قعنب ألا يراه بعد ذلك الموقف إلا مات دونه[٣٣٢] » .

وهذا قيس بن العجوة الهذلى يحس بظلم أبى تقاصف الخناعى له فيدعوه أن ينصفه من نفسه ويعطيه الحق « فقال : لا والله لا أنصفك من نفسى ولا أعطيك الحق ! فأمهله قيس بن العجوة حتى دخل الشهر الحرام ونزل الناس عكاظ فقام قائما فبهله فقال :

يارب كل آمن وخائف ... وسامعاً تهتاف كل هاتف
إن الخناعى أبا تقاصف ... لم يعطنى الحق ولم يناصف
فاقتله بين أهله الألاطف ... فى بطن كر فى صعيد راجف
بين قنان العاذ والنواصف[٣٣٣]

وهذا جاهلى يجاور فى بنى صبغاء فيظلمونه ويؤذونه فيذهب إلى عكاظ فيبهلهم ويروى قصته على النحو الآتى : [٣٣٤] « كانت بنو صبغاء رهطا جرمة ، وكنت جاراً لهم ... كانوا يظلموننى ويؤذوننى فأمهلتهم حتى دخل الشهر الحرام وهو ذو القعدة وكان الناس لايدعو بعضهم على بعض إلا فيه ، فقمت فبهلتهم فقلت :

يارب أدعوك دعاء جاهداً ... أقتل بنى صبغاء إلا واحداً
ثم اضرب الرجل فدعه قاعداً ... أعمى إذا قيد يعنى القائدا »

---

(٣٣٢) النقائض ١ — ٧٠ ، الكامل فى التاريخ ١ — ٦٣١
(٣٣٣) ديوان الهذليين ٢/٩٠٤ — ٩٠٥
(٣٣٤) نفس المصدر والجزء ٩٠٣

واستمر مبدأ المباهلة فى الإسلام وإن اختلف هدفها وسببها فحينما حاج يهود المدينة أو نصارى نجران رسول الله ﷺ أمر نبيه محمدا أن يباهل المحاجين فى هذه الآية : « فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم و نساءنا و نساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (٣٣٥)، يقول ابن جرير الطبرى فى تفسير هذه الآية (٣٣٦) : « حدثنى محمد بن سنان قال حدثنا أبو بكر الحنفى قال حدثنا المنذر بن ثعلبة قال حدثنا عليا بن أحمد اليشكرى قال : لما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم و نساءنا ولساءكم الآية » أرسل رسول الله ﷺ إلى على وابنيهما الحسن والحسين ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب من اليهود : ويحكم أليس عهدكم بالأمس إخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير وتلاعنوا فانتهوا » وفى بعض الروايات التى أوردها ابن جرير أنهم وفد نجران من النصارى ، ويختلف ابن عباس رضى الله عنهما مع بعض الصحابة فى مسألة فيقول(٣٣٧) : « من شاء باهلته أن الحق معى » .

والمباهلة فى الإسلام تختلف عنها فى الجاهلية طريقة وهدفا وسببا ، فطريقتها فى الجاهلية أن يقف الرجل فى الشهر الحرام خاصة فى عكاظ حينما يجتمع القوم فيدعو واقفاً عن من ظلمه ، أما فى الإسلام فيجمع كل من المباهل والمباهل أهله ، وهدفها عند الجاهلى أن يوقع الإضرار المادى كالموت أو قطع

---

(٣٣٥) آل عمران : أية ٦١

(٣٣٦) تفسير ابن جرير ٣/٢٠٩ — ٢١٢

(٣٣٧) لسان العرب ١١ — ٧٢

الرجل أو العمى أو أن يجعل ميتته على يده بالمباهل وبقبيلته ، أما فى الإسلام فإحلال اللعنة على الكاذب منهما ، وسببها فى الجاهلية أن يظلم شخص شخصاً آخر ، أما فى الإسلام فسببها المحاجة والاختلاف فى مسائل علمية هامة ، وجميع ماذكرته عن هدف المباهلة وطريقتها وسببها فى الجاهلية مبنى على ماسبق من حوادث المباهلة عند الجاهليين فى عكاظ ، أما فى الإسلام فعلى الآية الكريمة وتفاسيرها .

النشاطات العكاظية الأخرى

لم تكن للعرب فى جاهليتهم حكومة سياسية تقضى بينهم وتسوى أمورهم على نمط ما كان عند معاصريهم من الدول المجاورة فقد كانوا قبائل يغزوا بعضهم بعضا ويأسر بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا ، وكانت لهم شؤون فى جاهليتهم تقتضى قضاء ومشا كل تتطلب حلولا وفيهم عقلاء وأهل سلم ، وأكثر شئونهم شئون قبلية تنبثق من حياتهم القبلية من حمالات وفداء ومعاهدات ونحو ذلك ، ولما لم يكن لهم حكومة ودولة تتولى البت فى كل ذلك فقد كانت سوق عكاظ وما فيه من حكام هو الذى يتولى تلك الشئون فتحمل الأتاوات إليه وتعطى لأصحابها ويفدى الأسراء من أشراف العرب هناك وتكتب المعاهدات وتبرم المهادنات فى تلك السوق ، يقول أبو حيان التوحيدى (٣٣٨) : « ثم يرتحلون إلى عكاظ وذى المجاز فى الأشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم فيتناشدون ويتحاجون ، ومن له أسير يسعى فى فدائه ومن له حكومة ارتفع إلى الذى يقوم بأمر الحكومة من بنى تميم » ومثل ذلك قال القلقشندى (٣٣٩) .

وحينما يأتى الشهر الحرام فإن زهير بن جذيمة العبسى يخرج فى أهل بيته إلى عكاظ فتأتيه هوازن بالأتاوة كل سنة هناك فيأخذها ويسومها الخسف (٣٤٠) وكانت الأتاوة سمنا وأقسطا وغنما ونحو ذلك فأتت زهير يوما عجوز من

---

(٣٣٨) الإمتاع والمؤانسة ١ — ٨٥

(٣٣٩) صبح الأعشى ١ — ٤١١

(٣٤٠) الكامل فى التاريخ ١ — ٥٥٧

هوازن بسمن فى نحى ، واعتذرت فلم يرض طعمه فدعسها بقوس فى يده عطل فى صدرها فاستلقت على قفاها فانكشفت وبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن واضطغنتها عليه مع ما كان فى صدرها من الغيظ والحسد فتذامرت عامر ابن صعصعة يومئذ ، وتألى خالد بن جعفر وقال : « والله لأجعلن ذراعى فى عنقه حتى يقتل أو أقتل » ، وجعلوه من شأنهم فى حروب وأيام حتى أظفروا به فقتلوه (٣٤١) .

وكان لعبد الله بن جعدة إتاوة بعكاظ تأتيه بها بعض قبائل الأزد فجاء سمير ابن سلمة القشيرى وعبد الله جالس على ثياب قد جمعت له من إتاوة فأنزله عنها وجلس مكانه ، فجاء رياح بن عمرو بن ربيعة بن عقيل وهو الخليع سمى بذلك لتخلفه عن طاعة الملوك لايعطيهم الطاعة فقال للقشيرين : « مالك ولشيخنا تنزله عن إتاوته ونحن ههنا حوله ؟ » فقال القشيرين : « كذبت ، ماهى له » ثم مد القشيرى رجله فقال : « هذه رجلى فاضربها إن كنت عزيزاً » قال : « لا لعمرى ، لا أضرب رجلك » فقال القشيرى : « فامدد لى رجلك حتى تعلم أأضربها أم لا ؟ » فقال : « لا أمد رجلى ،ولكن افعل مالا تنكره العشيرة وما هو أعز بى وأذل لك » ثم أهوى إلى رجل القشيرى فسحبه على قفاه ونحاه وأقعد عبد الله بن جعدة مكانه(٣٤٢) .

وكثيرا مايؤتى بالأسير وفداءه إلى عكاظ خاصة إذا كان الأسير من أشراف العرب وساداتهم فقد أسر بسطام بن قيس فارس بنى شيبان وحاجب

---

(٣٤١) الأغانى ١٠ — ١٢

(٣٤٢) نفس المصدر (٢٣/٥ — ٢٤ دار الكتب) ٤ — ١٣٦

بن زرارة سيد تميم فأتى بهما إلى عكاظ وفديا وكان فداؤهما من الغلاء والكثرة بحيث أصبح العرب يضربون بهما المثل فيقولون : « أغلى فداء من حاجب بن زرارة وأغلى فداء من بسطام بن قيس ، وكانا أغلى عكاظى فداء(٣٤٣) وكان فداء بسطام أربعمائة بعير وثلاثين فرساً وكان فداء حاجب أغلى من ذلك ، ولذلك يقول أبو عبيدة(٣٤٤) : « ثم إن بسطاما فادى نفسه فزعم عمرو بن العلاء أنه فدى نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرساً فلم يكن عربى عكاظى أغلى فداء منه (لا أدرى أما حاجب بن زرارة فإنه أغلى منه فداء » وحدث أن أسر الربيع بن عتبة ذؤاب بن ربيعة فأراد أبو ذؤاب أن يفدى ذؤابا فتواعدا سوق عكاظ فى الأشهر الحرم أن يأتى هذا بالإبل ويأتى هذا بالأسير(٣٤٥) .

وإذا ما أراد القوم أن يتعاهدوا على سلم أو مهادنه ضربوا موعدهم بعكاظ فتقابلوا هنالك وناقشوا مايريدون الوصول إليه ثم تواثقوا ، ويقول اليعقوبى(٣٤٦) « وبها (عكاظ) كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهاداناتهم » وبعد أن أثخنت حروب الفجار هوازنا وقريشا وعطلت الأسواق أراد القوم أن يصلوا إلى سلم ويتحملوا القتلى فكان ذلك فى عكاظ ، يقول ابن حبيب(٣٤٧) : ثم إن الناس تداعوا إلى السلم على أن يدى الفضل من القتلى الذين فيهم أى الفريقين الفضل على الآخر فتواعدوا عكاظ ليعدوا القتلى ، وتعاقدوا

---

(٣٤٣) الدرة الفاخرة ١ — ٣٢٥

(٣٤٤) النقائض ١ — ٣١٦

(٣٤٥) العقد الفريد ٦/٨٦ — ٨٧

(٣٤٦) تاريخ اليعقوبى ١ — ٢٧٠

(٣٤٧) المنمق ٢١٤ — ٢١٥

وتواثقوا أن يتموا على ذلك » ، وتتابعت على العرب سنون محل فضعفوا وأرادوا أن يتجنبوا الحرب لأنه ليس فى مقدورهم تحمل الجدب والحرب فى وقت واحد فاتفقوا وتعاهدوا على السلم حتى يخصب الناس ، يقول الأصفهانى (٣٤٨) : « اجتمع ناس من العرب بعكاظ منهم قرة بن هبيرة القشيرى والمخبل وهو فى جوار قرة ، فى سنين تتابعت على الناس فتواعدوا وتوافقوا ألا يتغاوروا حتى يخصب الناس » .

ولعل هناك أسباباً فى اختيارهم عكاظ مكاناً لفدائهم ومعاهداتهم ؛ ذلك أن ما تم فى عكاظ ضمن له التنفيذ والاتمام ولكى تعرف العرب عنهم ذلك فتنشره فى كل مكان ويقوى التزام الطرفين بما اتفقا عليه .

واتفق الناس فى عكاظ على أمور كثيرة كانت تشغلهم ، ومن هذه الأمور مثلا تقويم الفرسان ومن أشجع العرب ؛ وهذه مسألة تهم الجاهليين كثيراً والحكم فيها لا يصدر إلا بعد تمحيص وبراهين ، ولقد اجتمع العكاظيون كما يقول المبرد على « أن فرسان العرب ثلاثة : ففارس تميم عتيبة ابن الحارث بن شهاب أحد بنى ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس وسم الفرسان . وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وفارس ربيعة بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بنى شيبان بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر ابن وائل ثم اختلفوا فيهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم (٣٤٩) . ويفهم من لفظه « اجتمع العكاظيون » أنهم لم

---

(٣٤٨) الاغانى ١٤ — ٣٩

(٣٤٩) الكامل فى الأدب ١ — ١٥٦

يصلوا إلى هذا الرأى إلا بعد نقاش ولذلك ذيلها بقوله : « ثم اختلفوا حتى نعوا عليهم سقطاتهم » ، وكما عرفنا أن الأشراف كانت تعرف لتأخذ صلات الملوك فإن الفرسان كانت تصنف فى عكاظ وتفدى على قدر شجاعتهم وشهرتهم كما مر بنا ، وأقر العرب فى عكاظ لطريف بن تميم العنبرى بخصال كثيرة ذكرها أعرابى من تميم للمنصور حينما سأله فقال : ويحك ! وما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال : كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأدركهم بثأر ، وأيمنهم نقيبة ، وأعساهم قناة لمن رام هضمه ، وأقراهم لضيفه . وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر له بهذه الخلال »[٣٥٠] وإذا أقر العرب شيئا فى عكاظ أقره العرب من ورائهم ممن لم يشهدوا عكاظ لأن ماتم بعكاظ كان يصل إليهم أو سمى شخص بتسمية جديدة نظرا لاجتلابه مكرمة جديدة أو خزيا جديدا وكان ذلك فى عكاظ ثبت ذلك وسار فى الأحياء ، فهذا عمرو بن الشريد السلمى يذهب إلى عكاظ لكى يكافىء معمر بن الحارث جد الشاعر جميل ، وإليك قصة هذه المكافأة[٣٥١] : « وفيمن حضر السوق عمرو بن الشريد السلمى ومعه ابناه معاوية وصخر أخو الخنساء الشاعرة ، وحضرها معمر بن الحارث جد جميل الشاعر الغزل فلما نظر معمر إلى عمرو صافحه وأمر ولده ، أن يخدموه ففعلوا . فلما تقوضت السوق دعا عمرو بن الشديد ابنيه معاوية وصخرا فقال لهما : « إن معمرا قد طوقنى مالم يطوقنى أحد من العرب ، وقد أحببت أن أكافئه » فقالا : « أفعل مابدا لك » فدعا بكاتب وصحيفة وكتب :

« هذا مامنح عمرو بن الشريد السلمى معمر بن الحارث العذرى : منحه ماله بالوحيدة من أخلاف يثرب ، أطلال ذاك ومغافيه ورسومه وأعراصه

(٣٥٠) تاريخ الطبرى ٨ — ٧٠
(٣٥١) الأزمنة والأمكنة ٢/١٦٨ — ١٦٩

ودواويه وزحاليفه وقريانه وبراذعه وقسوره وعجرمه وبشامه وينعه وتاليه وحماطه وشيحه وأراكه واحزته وحذاريه وآكامه وبرقه وعلجانه وكل ماصاء وصمت فيه وبكت السماء عليه وضحكت الأرض عنه فهو لمعمر دون عمرو، وممنوع به من نيات الصدر، لايشوبه كدر الامتنان ولاأمارات الامتهان: مستنزل من هضاب الجندل وجرثومة ود بعيد المحل لاتخلق الأيام جدته ولايركد لمتنسم بارحه مادام الزمان وتوقد الحران وسمر ابنا سمير وأقام حراء وبثير. وكتب لخمس وثلاثين عاما خلت من عام الفيل» ثم بعث بالكتاب مع طرف من طرائف اليمن وعدد إلى معمر. وهذا أبوربيعة بن المغيرة المخزومى يقاتل فى يوم شرب برمحين فسمى بعد ذلك بذى الرمحين وصار يعرف به بدلا من اسمه(٣٥٢)، وهؤلاء أبناء أمية بن حرب وهم حرب وأبوحرب وأبوسفيان وعمرو وأبوعمرو فى يوم شرب من أيام عكاظ بعد أن رأوا هزائمهم فى الأيام التى قبله يحاربون ببسالة ويثبت ثلاثة منهم أنفسهم بسلسلة حتى يحاربوا ببسالة فيحارب من خلفهم فكان لهم النصر فى ذلك اليوم فسموا بالعنابس وصار لقبا يغلب عليهم(٣٥٣)، وورد ربيعة بن عمر وعكاظ فرام» شراء عيش من من امرأة، فسامت سيمة غالية، فقال لها: «لماذا تغالين بثمن إناء أملؤه بحوثرتى، فكشف عن حوثرته فملأ بها عن المرأة فنادت المرأة بالقلقة وجمعت عليه الناس فسمى حوثرة باسم هذا العضو»(٣٥٤).

وتغد عبد القيس سنة إلى عكاظ وترحل منه بعار الدهر وذلك أن أحدهم اشترى لقبا كانت تعير به قبيلة إياد وهو الفسو ببردين فأسمتها العرب بالصفقة

(٣٥٢) الاغانى ١ — ٣٠

(٣٥٣) نفس المصدر ١٩ — ٧٨، الاشتقاق ١٦٦

(٣٥٤) مجمع الأمثال ٢ — ٣٤٨، وانظر الأغانى ٢ — ١٣٢

الخاسرة وتحول الاسم من إياد وكان بها لاصقا إلى عبد القيس ، وإليك قصه هذه الصفقة الخاسرة(٣٥٥) : « كانت إياد تسب بالفسو وتعير به فقام رجل من إياد بسوق عكاظ ومعه بردا حبرة فقال : من يشترى من عار الفسو بهذين البردين ؟ فقام عبدالله بن بيدرة فقال : هاتهما وأشهدوا أنى اشتريت عار الفسو من إياد لعبد القيس بالبردين فلما أتى رحله وسئل عن البردين ، قال : اشتريت لكم بهما عار الدهر ، فوثبت عبد القيس وقالت :

إن الفساة قبلنا إياد ونحن لا نفسو ولا نكاد

وتفرق الناس عن عكاظ بابتياع عبد القيس عار الفسو حتى قال الشاعر :

يامن رأى كصفقة ابن بيدرة من صفقة خاسرة مخسرة
المشترى الفسو ببردى حبرة شلت يمين صافق ماأخسره

ثم إن هذ العار زال عن إياد ولصق بعبد القيس فهجوا به كثيرا » ويشير إلى ذلك ابن دريد بقوله(٣٥٦) : « والفسو معروف وتعير به قبيلة وذلك أنهم اشتروه من إياد بسوق عكاظ ببردى حبرة ».

ورغم أن عبس القيس كانت تتبرأ من ذلك اللقب ولا تقره فقد لصق بها ذلك لأن الصفقة تمت بعكاظ على الملأ من العرب فعرفها العرب و نشروها فى كل قطين ولم تسطع عبد القيس أن ترد ذلك عنها .

من هذا كله نفهم أن عكاظ كانت سوقا ومنتدى للعرب وما اتفق عليه فيها أوأقر فان العرب تقره وتتمسك به ومن أبرز مايمارس فى سوق عكاظ

(٣٥٥) ثمار القلوب ١٠٦ — ١٠٧ ، الدرة الفاخرة ١/ ١٤٠ — ١٤١
(٣٥٦) الجمهرة ٣ — ٤٠

البغاء فبحكم قربها من الطائف الذى اشتهـــر ببغاياه اللواتى عرفن بذوات الرايات(٣٥٧) ، وبحكم الأعداد الهائلة التى كانت تقطن عكاظ من كل صقع وجنس فقد كانت مقصدا للبغايا من أى نوع تقصده ذوات الرايات وغيرهن من المستبضعات فينصبن الرايات عـلامة على وجودهن وأكثرهن من الإماء وأكثر العرب لايرى ذاما فى أن تزنى أمته ، وقد كان لهم إماء كثيرة فى غير سوق عكاظ خصصن للبغاء وهن ملك لأشراف القـوم كجوارى عبدالله بن جـدعان(٣٥٨) وجاريتى أبى بن كعب بالمدينة(٣٥٩) ، أما عنهن فى عكاظ فيقول ابن حبيب(٣٦٠) : « ومن سننهم أنهم كانوا يكسبون بفروج إمائهم وكان لبعضهن راية منصوبة فى أسواق العرب فيأتيها الناس فيفجرون بها فأذهب الإسلام ذلك وأسقطه فيما أسقط . ولهن أولاد ونسل كثير معروف » وكان الأشراف يتعرضون لهن ويصيبونهن لايرون فى ذلك عارا ، وقد يعترض الرجل لامرأة شريفة ظنا منه أنها بغى فتسبب حربا ضروسا كما حدث ذلك لمعاوية بن عمرو الشريد حينما دعا أسماء المرية إلى نفسه ظنا منه أنها إحدى البغايا روى الأصفهانى(٣٦١) : « أن معاوية وافى عكاظ فى موسم العرب فبيناهو يمشى بسوق عكاظ إذ لقى أسماء المرية وكانت جميلة فزعم أنها كانت بغيا فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت : أما علمت إنى عند سيد العرب هاشم بن حرملة ... » ، وقصة ذات النحيين المشهورة التى كان بطلها خوات بن جبير الأنصارى فى الجاهلية كانت أحداثها تدور بسوق عكاظ مع امرأة

---

(٣٥٧) مروج الذهب ٣ — ١٥

(٣٥٨) لطائف المعارف ١٢٨

(٣٥٩) تفسير القرطبى ١٢ — ٢٥٤

(٣٦٠) المحبر ٣٤٠

(٣٦١) الأغانى ١٣ — ١٤١

جلبت نحيين من سمن (٣٦٢) ، ولعل شهرة عكاظ بكثرة بغاياه هى التى أوحت إلى صاحب المقامة التى عارض بها مقامة رشيد الوطواط حين قال(٣٦٣) : « وما مثلى ومثلك إلا كمثلى فاتك أمير الحرم والنعمان هاتك الحرم لجمعه بين الرجال والنساء فى عكاظ الفجور صباحا ومساء » .

وهناك نوع من النساء المستبضعات (والاستبضاع : أن تطلب المرأة من الرجل أن يقع عليها لجماله أو لشجاعته أو لكرمه قصداً لإنجاب ولد مثله ، وهو أحد أنكحة الجاهلية التى أبطلها الإسلام) (٣٦٤) فقد روى : « أن جارية ابن سليط كان أحسن الناس وجهاً وأمدهم جسما وأنه أتى عكاظ فأبصرته امرأة من خثعم فأعجبها ، وتلطفت له حتى وقع عليها ، فلما فرغ قالت : « إنك قد أتيتنى على ظهر ، وإنى لا أدرى لعلى سأعلق لك ولداً فموعدك فصال ولدى إن حملت لك ، فسمى لها اسمه ثم وافى عكاظ لرأس ثلاثة أحوال وأقبلت المرأة مع أمها وخالتها يتلمسنه بعكاظ حتى رأته المرأة فعرفته وقالت لأمها : « هذا جارية » قالت أمها : « بمثل جارية فلتزن الزانية سراً أو علانية » ووجد الرجل أن المرأة قد ولدت غلاما وفطمته ثم دفعن إليه الغلام عَوْفاً فشرف وساد قومه وهو عوف الأصم » (٣٦٥) .

ويدخل ضمن هذا ما كان يفعله بعض الشباب المستهتر ببعض النسوة من شك أدرعهن إلى ظهورهن بشوكة أو من التعرض لهن ، والفعل الأول قد سبب

---

(٣٦٢) ثمار القلوب ٢٩٣
(٣٦٣) ريحانة الألباء ٢ — ٣٩٧
(٣٦٤) الاعتصام ٢ — ٣٧
(٣٦٥) أمثال الضبي ١٨

حرباً عرفت بيوم الفجار الثانى ، يقول ابن عبد ربه (٣٦٦) : « وكان الذى هاجه أن فتية من قريش قعـــدوا إلى إمرأة من بنى عامر بن صعصعة وضيئة وحسانة بسوق عكاظ ، وقالوا : بل طاف بها شباب من بنى كنانة وعليها برقع وهى فى درع فضل فأعجبهم ما رأوا من هيئتها فسألوها : أن تسفر عن وجهها فأبت عليهم ، فأتى أحدهم من خلفها فشد دبر درعها بشوكه إلى ظهرها وهى لا تدرى فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها فضحكوا وقالوا : منعتنا النظر إلى وجهها فقد رأينا دبرها ! فنادت المرأة يا آل عامر ... » .

والبغاء ليس خصيص سوق عكاظ فبعض الأسواق العربية فى الجاهلية كانت مرتاداً للبغاء وللبغايا ، ومن بينهن دومة الجندل التى تقصدها قبيلة كلب بقنها وإمائها ، يقول ابن حبيب (٦٣٧) : « وكـان لـكلب فيها قِنٌ كثير فى بيوت شعر . فـكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء ، وكـانوا أكثر العرب »

فلما جاء الإسلام أبطل إكراه الإماء على البغاء فى الآية الشريفة : « ولا تـكرهوا فتياتـكم على البغاء إن أردن تحصنا » .

---

(٣٦٦) العقد الفريد ٦ — ٨٨ ، انظر المنمق ١٨٩ ، الاغانى ٢٢ — ٦٢

(٣٦٧) المحبر ٢٦٤

موقع عكاظ

أحسب أن موقع عكاظ وتحديدها أهم عنصر فى بحثى عن عكاظ فهو ملح الساعة ، وسأعالج هذا الموضوع على النحو الآتى : أن أبدأ بسرد أقوال الأوائل عن موقع عكاظ ثم أسرد أهم آراء المحدثين محاولا أن أفند ما أرى ضرورة تفنيده لإثبات الحق ثم أبين مرئياتى موفقاً حيناً بين الآراء المختلفة ومستشهداً بأقوال من يوثق أو يستأنس برأيه حيناً آخر .

وأقوال الأوائل أقوال لها مناح ثمان :

أولا : الأقوال التى تدل على أن عكاظ موضع بين مكة والطائف أو بين نخلة والطائف وتذكر المسافة ما بين عكاظ وغيرها من البلدان والمعالم الهامة كمكة المكرمة والطائف ونخلة ، ومعلوم أن المسافة آنذاك كانت تقاس إما بوحدات المساحة المعروفة عند العرب كالميل والبريد وإما بسير الرواحل كالمرحلة واليوم والليلة :

(أ) قال الخليل بن أحمد(٣٦٨) : « وهو من مكة على مرحلتين أو ثلاث قريب من ركبة ».

(ب) ما نسبه ابن حجر فى شرحه للبخارى إلى ابن إسحق (٣٦٩) : «أنها فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال لها الفتق بضم الفاء والمثناة بعدها قاف» :

---

(٣٦٨) كتاب العين ١ — ١٢٢

(٣٦٩) الخزانة ٤ — ٣٦٠

(ج) ما نسبه البكرى إلى أبى عبيدة (٣٧٠) : « عكاظ فيما بين نخلة إلى موضع يقال له الفتق ، وبه أموال ونخـــل لثقيف بينه وبين الطائف عشرة أميال » .

(د) قال الأصفهانى صاحب « بلاد العرب »(٣٧١) : « وعكاظ نخل بينه وبين الطائف ليلة ، وبين مكة ثلاث ليال » :

(ه) قال البلاذرى (٣٧٢) : « وعكاظ فيما بين نخلة والطائف » .

(و) قال الأصمعى (٣٧٣) : « عكاظ نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال » .

(ز) قال ابن عبد ربه (٣٧٤) : « وعكاظ بين نخلة والطائف ، وبينهما وبين الطائف عشرة أميال » .

(ح) قال الواقدى (٣٧٥) : « عكاظ بين نخلة والطائف » .

(ط) قال صاحب القاموس(٣٧٦) : سوق بصحراء بين نخلة والطائف »

(ى) قال ابن حبيب (٣٧٧) : « وعكاظ بين نخلة والطائف » .

---

(٣٧٠) معجم ما استعجم ٣ — ٩٥٩

(٣٧١) بلاد العرب ٣١

(٣٧٢) أنساب الأشراف ١ — ١٠١

(٣٧٣) معجم البلدان ٤ — ١٤٢

(٣٧٤) العقد الفريد ٦ — ٨٩

(٣٧٥) معجم البلدان ٤ — ١٤٢

(٣٧٦) ٢ — ٣٩٦

(٣٧٧) المنمق ١٩٠

(ك) قال ابن حجر أيضاً (٣٧٨) : « وهو نخل فى واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن » وأتى الألوسى — وإن كان متأخراً — فنقل ما قاله ابن حجر بحذافيره (٣٧٩) ، وفى مكان آخر قال (٣٨٠) : « وعكاظ نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة زادها الله شرفا ثلاث ليال » .

ثانياً : الأقوال التى ترى أن عكاظ فى نجد أوجهته :

(أ) قال اليعقوبى (٣٨١) : « ثم سوق عكاظ بأعلى نجد ، يقوم فى ذى القعدة ، وينزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر . . . »

(ب) قال محمد بن حبيب (٣٨٢) : « . . . وعكاظ بأعلى نجد قريباً من عرفات » .

« جـ » قال صاحب (كنز المدفون) (٣٨٣) « وعكاظ بين نجد والطائف وذو المجاز بالجانب الأيسر » .

(د) قال الحميرى فى (الروض المعطار) (٣٨٤) : « عكاظ صحراء لا علم فيها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التى كانت فى الجاهلية ، وهى بأعلى نجد، وقريب من عرفات . . . » .

---

(٣٧٨) فتح البارى ٨ — ٦٧١
(٣٧٩) بلوغ الارب ١ — ٢٦٧
(٣٨٠) نفس المرجع والجزء ١٩١
(٣٨١) تاريخ اليعقوبى ١ — ٢٧٠
(٣٨٢) المحبر ٢٦٧
(٣٨٣) هامش الأزمنة والأمكنة ٢ — ١٦١
(٣٨٤) نسخة عارف حكمت ، عن مجلة العرب ، ملحق الجزء الثالث ٨

(هـ) قال الهمدانى (٣٨٥) : « ثم سراة الطائف غورها مكة ، ونجد ديار هوازن من عكاظ والعبر » .

(و) قال الفيومى (٣٨٦) : « وهى بين نجد والطائف » .

(ز) قال محمد بن عبد الملك الأسدى (٣٨٧) : « حد الحجاز الأول : بطن نخلة وظهرها حرة ليلى والحد الثانى مما يلى الشام شعب وبدا ، والحد الثالث مما يلى تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ » .

ثالثاً : الأقوال التى ترى أن عكاظ على طريق صنعاء من مكة المكرمة وراء قرن المنازل :

(أ) قال ابن حجر (٣٨٨) : « ... وهو موسم معروف للعرب بل كان من أعظم مواسمهم ، وهو نخل فى واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال ، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن » .

(ب) قال الأزرقى (٣٨٩) : « وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة ، على طريق صنعاء فى عمل الطائف على بريد منها » .

(جـ) قال الفيومى (٣٩٠) : «عكاظ — وزن غراب — سوق من أعظم أسواق الجاهلية وراء قرن المنازل برحلة من عمل الطائف عن طريق اليمن » .

---

(٣٨٥) صفة جزيرة العرب ٧١
(٣٨٦) المصباح المنير ٢ — ٤٩
(٣٨٧) بلوغ الأرب ١ — ١٨٨
(٣٨٨) فتح البارى ٨ — ٦٧١
(٣٨٩) تاريخ مكة ١ — ٢١٠
(٣٩٠) المصباح المنير ٢ — ٤٩

رابعاً : الأقوال التي ترى أنها قريبة من مكة أو أحد معالمها :

(أ) قال ابن الكلبي [٣٩١] : « كانت بأسفل مكة على بريد منها غربى البيضاء » .

(ب) قال ابن حبيب [٣٩٢] : « وعكاظ بأعلى نجد ، قريباً من عرفات»

(ج) قال المرزوقى [٣٩٣] : « وعكاظ قريب من عرفات » .

(د) قال الحميرى [٣٩٤] : « وهى بأعلى نجد وقريب من عرفات » .

(ه) قال ابن الأثير [٣٩٥] : « وهو بقرب مكة كانت تقام به فى الجاهلية سوق يقيمون فيه أياما » .

(و) قال صاحب الصحاح [٣٩٦] : « اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها فى كل سنة » .

(ز) قال السيوطى [٣٩٧] : « عكاظ موضع بقرب مكة كانت تقام به فى الجاهلية سوق يقيمون فيه أياماً » .

خامساً : الأقوال التى تذكر طبيعة عكاظ نفسها ، ولا تحدد مكاناً بعينه وإن كانت هذه الأقوال تفيد فى تحديد المكان مع غيرها :

---

(٣٩١) الخزانة ٤/٣٦٠ — ٣٦١
(٣٩٢) المحبر ٢٦٧
(٣٩٣) الأزمنة والأمكنة ٢ — ١٦٠
(٣٩٤) الروض المعطار ، (عن العرب ، ملحق الجزء الثالث ٨)
(٣٩٥) النهاية فى غريب الحديث ٣ — ١٢٠
(٣٩٦) ٣ — ١١٧٤
(٣٩٧) الدر النثير على النهاية ٣ — ١٢٠

(أ) قال عرام بن أصبغ السلمى [٣٩٨] : « وعكاظ صحراء مستوية ليس بها جبل ولا علم إلا ما كان من الأنصاب التى كانت فى الجاهلية وبها من دماء البدن كالأرحاء العظام » .

(ب) قال البكرى [٣٩٩] : « صحراء مستوية لا علم بها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التى كانت فى الجاهلية ، وبها من دماء البدن كالأرحاء العظام » وترى أن القولين واحد لأن آخرها نقل — بلا شك — عبارة أولها بحذافيرها .

(ج) قال الفيومى [٤٠٠] : « هو صحراء مستوية لا جبل فيها ولا علم »

(د) قال الإدريسى [٤٠١] : « وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة لها مزارع ونخيل ومياه كثيرة ، ولها سوق يوما فى الجمعة وذلك يوم الأحد ، يقصد إليها فى ذلك اليوم ، بأنواع التجارات أهل تلك الناحية فإذا أمسى المساء انصرف كل واحد إلى موضعه ومكانه » .

سادساً : أقوال تذكر مكانها دون تحديدها :

(أ) قال الهمدانى [٤٠٢] : « وكان عكاظ فى وسط أرض قيس عيلان »

(ب) قال السكرى فى شرح بيت أبى ذؤيب الهذلى :

فما برحت فى الناس حتى تبينت ثقيفا بزيزاء الأشاء قبابها

---

(٣٩٨) أسماء جبال تهامة (نوادر المخطوطات) ٢ — ٤٤٠

(٣٩٩) معجم ما استعجم ٣ — ٩٥٩

(٤٠٠) المصباح المنير ٢ — ٤٩

(٤٠١) نزهة المشتاق (عن مجلة العرب ، ملحق الجزء الثالث : ٨)

(٤٠٢) الإكليل : ٨ — ١٨٤

« والمعنى حملت إلى عكاظ ، وهى دار ثقيف »[٤٠٣] .

(ج) قال الهمدانى أيضاً [٤٠٤] : « عكاظ بكمد هوازن ، وهو سوق العرب القديمة وهى لبنى هلال اليوم » .

وأحسب أنه من المناسب أن أورد الحديث الذى تضمن كتاب رسول الله ﷺ لثقيف وهو أن « النبي ﷺ كتب لثقيف حين أسلموا كتابا فيه : إن لهم ذمة الله وان واديهم حرام عضاهه وصيده وظلم فيه ، وإن ما كان لهم من دين إلى أجل فبلغ أجله فإنه لياط مبرأ من الله ، وإن ما كان لهم من دين فى رهن وراء عكاظ فإنه يقضى إلى رأسه ويلاط بعكاظ ولا يؤخر »[٤٠٥] فإن فيه ما يدل على أن عكاظ من أرض ثقيف .

سابعا : أقوال تربك الباحث من تناقض فيها :

(أ) قال ابن حبيب [٤٠٦] : « وعكاظ بأعلى نجد قريبا من عرفات »

(ب) قال الحميرى[٤٠٧] : « وهى بأعلى نجد وقريب من عرفات » .

وهذان القولان يبدو عليهما التناقض فأعلى نجد ليس قريباً من عرفات ، ولقد استوقف هذا التناقض الشيخ حمد الجاسر فحاول أن يجد مخرجاً لما قاله

---

(٤٠٣) ديوان الهذليين : ١ — ٤٧

(٤٠٤) صفة جزيرة العرب : ٢٦٥ .

(٤٠٥) الفائق : ٣ — ٣٣٨

(٤٠٦) المحبر : ٢٦٧ .

(٤٠٧) ملحق الجزء الثالث من مجلة العرب : ٨

ابن حبيب ، فقال(٤٠٨) : « كذا ورد فى كتاب (المحبر) ص ٢٦٧ المطبوع فى الهند ولعله سقط منه أو من الأصل الذى نقل عنه المؤلف — إن كان له أصل — كلمة (وذو المجاز) بعد كلمة نجد ، وإلا فأين نجد من عرفات ؟ ومن الغريب أن الذين جاءوا بعد ابن حبيب ونقلوا كلامه نقلوه بهذه الصورة كالمرزوقى فى كتاب «الأزمنة والأمكنة» وأبى عبيد البكرى فى كتاب معجم ما استعجم «والحميرى فى « كتاب الروض لمعطار » ، وأقول : إن تعجب الشيخ فى محله ولكن هذه الغلطة التى ارتكبها ابن حبيب لا مخرج لها خاصة أن المرزوقى والبكرى نقلا ما قاله بالحرف الواحد ، وقد يكون كل واحد منهم نقل من مخطوطة مختلفة وكذلك مافعل « صاحب الروض المعطار » ، ومحققته الدكتورة ايلزة ليختن شتيتر اعتمدت على نسخة فريدة هى نسخة المتحف البريطانى ، واتفاق البكرى والمرزوقى ثم الحميرى على نقل ما قاله ابن حبيب يدل على أن ليس هناك حذف وإنما هو سهو وقع فيه ابن حبيب أو تصحيف لكلمة أخرى غير (عرفات) ولها شبه فى الحروف معها ، والتصحيف داء قديم وقع فيه من هو أعلم من ابن حبيب والمرزوقى وهو الأصمعى فقد صحف (ذات الدبر) فجعلها (ذات الدير) ، قال ابن قتيبة(٤٠٩) : « وقرىء يوماً على الأصمعى فى شعر أبى ذويب :

بأسفل ذات الدير أفرد جحشها

فقال أعرابى حضر المجلس للقارىء : ضل ضلالك (أيها القارىء) إنما هى (ذات الدبر) وهى ثنية عندنا ، فأخذ الأصمعى بذلك فيما بعد « واعترف بأننى لا أستطيع تخمين هذه الكلمة ولكنى — لإثبات الحقيقة — مأبطل الاستدلال بهذا القول فى جزئه الأول « وعكاظ بأعلى نجد » وفى جزئه سيما وأن ابن حبيب

(٤٠٨) نفس المرجع : ٨ — ٩

(٤٠٩) الشعر والشعراء : ١ — ٢٨

نفسه فى كتابه الآخر «المنمق» يقول (٤١٠) : «وعكاظ بين نخلة والطائف» وأحسب أن الشيخ إنما قصد من تبريره لسهو ابن حبيب أن يبقى على الجزء الأول من قوله لكى يعضد أدلة أخرى تثبت أن عكاظ فى عالية نجد ذلك أن الجزء الثانى يفسد دلالة الجزء الأول ، وعلى فرض أننا سلمنا بتفسير الشيخ فماذا نصنع بكلمة «قريباً» المنصوبة إذ لو قدرنا المحذوف الذى أراد الشيخ (وذو المجاز) لأصبحت مرفوعة ، ونصب هذه الكلمة لها دلالة هى التوضيح .

ثامنا : أقوال تربط عكاظ بأمكنة أخرى مجاورة له من شأنها أن تهدى الباحث إلى التعرف على مكان عكاظ :

(أ) قال البكرى (٤١١) : «ويتصل بعكاظ بلد تسمى ركبة بها عين تسمى عين خليص للعمريين» وهذا هو عين نص ابن حبيب فى كتاب المنمق (٤١٢) .

(ب) قال البكرى أيضا (٤١٣) : «وعكاظ على دعوة من ماء يقال لها نقماء ، بئر لا تنكف» .

(ج) قال عرام السلمى (٤١٤) : «والقفا جبل لبنى هلال حذاء عنّ وحذاؤه جبل يقال له بسّ ، وفى أصله ماء يقال لها بقماء لبنى هلال بئر كثيرة الماء ليس عليها زرع وحذاؤها أخرى يقال لها الخدود وعكاظ منها على دعوة»

(د) قال ابن خلدون (٤١٥) : «ومن أعمال الطائف سوق عكاظ والعرج وعكاظ حجز بين اليمن والحجاز» .

(٤١٠) المنمق : ١٩٠
(٤١١) معجم ما استعجم : ٣ — ٩٦٠
(٤١٢) المنمق : ١٩٠
(٤١٣) معجم ما استعجم : ٣ — ٩٥٩
(٤١٤) أسماء جبال تهامة (نوادر المخطوطات) : ٢ — ٤٤٠
(٤١٥) تاريخ ابن خلدون : ٢ — ٦١٤

(ه) أجروزة عيسى بن أحمد الرداعى اليمنى التى وصف بها طريق حجه من صنعاء إلى بيت الله الحرام نجتزىء منها ما يهمنا(٤١٦) :

يا ناق هم الشهر بانسلاخ ... فأزمعى بالجد لا التراخى
كأم أفراخ إلى أفراخ ... من ذى طوى ذى الحمض والصباخ
وأوقح ذى المنهل الوضاخ ... قاربة للورد من كلاخ
قلت لها سيرى بلا توانى ... سيرى بمفضال على الإخوان
ليس بفحاش ولا منان ... وكل صلت ثابت الجنان
يا هند لو أبصرت من عيانى ... قلائص يوضعن فى جلدان
فقلت لما نأب لى إحتفاظى ... والقلب فيه مثل الشواظ
سل الهوى عن قلبك المغتاظ ... والعيش تطوى الأرض بالمظاظ
مشفقة من زاجر كظاظ ... مسهلة فى الأرض من عكاظ
فانجردت بالرفق العصائب ... عيدية مفعمة المناكب
تاركة قُرّان للمناقب ... وشربا فى جنح ليل واقب

ذكر الرداعى فى هذه الأرجوزة أمكنة يمكن أن تهدينا إلى موقع سوق عكاظ وهى (كلاخ ، وجلدان — ثم ذكر عكاظ — قُرّان وشربا ثم المناقب) .

وسنرجع إلى هذه الأرجوزة وفى وقت مناسب إن شاء الله فيما بعد .

(و) قال الأصفهانى(٤١٧) : « وبه (عكاظ) كانت تقوم سوق العرب بالاثيداء بعكاظ » .

(ز) قال ابن حجر (٤١٨) : « وكان المكان الذى يجتمعون به منه (أي من عكاظ) يقال له الاثيداء » .

---

(٤١٦) صفة جزيرة العرب : ٢٦٤ — ٢٦٥
(٤١٧) بلاد العرب ٣٢
(٤١٨) فتح البارى : ٨ — ٦٧١

(ح) قال ابن حبيب فى معرض حديثه عن يوم شمطه [٤١٩] : « فاعتزل بهم (بلعاء بن قيس) إلى جبل يقال له رخم » .

(ط) وقال أبو الفرج الأصفهانى فى حديثه عن اليوم الثانى من أيام الفجار [٤٢٠] : « فلما استمر القتل بهم ، قال أبو مساحق بلعاء بن قيس لقومه: الحقوا برخم وهو جبل ففعلوا وانهزم الناس » .

(ى) وقال البكرى عن يوم شمطة [٤٢١] : « فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة ابن كنانة إلى جبل يقال له (دخم) فلم يقتل منهم أحد » والجبل الذى سماه البكرى دخما هو نفس الجبل الذى سماه الأصفهانى وابن حبيب دخما .

(ك) المواضع التى وقعت فيها أيام عكاظ الأربعة وهى فى عكاظ نفسها أو قريبة منها وهى : شمطة والعبلاء وشرب والحريرة ، والتعرف على أماكن هذه المواضع يمدنا بدلالة قوية على موقع عكاظ ، ذكر أبو عبيدة [٤٢٢] : « أنه كان بعكاظ أربعة أيام : يوم شمطة ويوم العبلاء ويوم شرب ويوم الحريرة وكلها من عكاظ » وقال السهيلى [٤٢٣] : « وكانت الفجارات فى العرب أربعة ذكرهن المسعودى وآخرهن فجار البراض هذا ، وكان القتال فيه فى أربعة أيام ، يوم شمطة ويوم العبلاء وهما عند عكاظ ... » ، وقال الأصفهانى [٤٢٤] : « فسبقت هوازن قريشاً فنزلت شمطة من عكاظ ... والتقوا على قرن الحول بالعبلاء » ، وهو

---

(٤١٩) المنمق ٢١٢

(٤٢٠) الأغانى : ١٩ — ٧٨

(٤٢١) معجم ما استعجم ٣ — ٩٦١

(٤٢٢) نفس المصدر والجزء والصفحة

(٤٢٣) البداية والنهاية : ٢ — ٢٩٠

(٤٢٤) الأغانى : ١٩ — ٧٧ — ٨٠

موضع قريب من عكاظ ... ثم كان اليوم الخامس وهو يوم الحريرة ، وهى حرة إلى جانب عكاظ » ، وقال البكرى(٤٢٥) : « ثم التقى الأحياء المذكورة على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نخلة بشرب من عكاظ...ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة ، وهى حرة إلى جنب عكاظ مما يلى مهب الجنوب » ، وقال ابن حبيب(٤٢٦) : « فنزلوا (هوازن) شمطه من عكاظ » وقال أيضاً : « والتقوا بالعبلاء ، وهو أعبل إلى جنب عكاظ ... فالتقوا بشرب من عكاظ ... الحريرة وهى حرة إلى جنب عكاظ مما يلى جنوبها ثم تقبل تريد مكة من مهب صباها حتى تنقطع دوين قرن » ، وقال ابن عبد ربه(٤٢٧) : « فاجتمعوا بشمطة من عكاظ فى الأيام التى تواعدوا فيها ... يوم الحريرة ... وهى حرة إلى جنب عكاظ » ، وقال ياقوت الحموى(٤٢٨) : « العبلاء : اسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عـكاظ » .

(ل) قال الهمدانى(٤٢٩) : « قران وشرب مكانان من أرض عكاظ » .

(م) قال أبو عبيدة(٤٣٠) : « وكان من حديث رحرحان أول وثان (وهى أرض قريبة من عـكاظ) وقعة بين تميم وبنى عامر » وبقيت أماكن كثيرة غير هذه ولكن أحببت تركها اقتصاداً ، وقد أتعرض لذكر بعض منها إن رأيت ذلك ضرورياً فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

(٤٢٥) معجم ما استعجم ٣ — ٩٦١ — ٩٦٢

(٤٢٦) المنمق : ٢٠١ — ٢١٣

(٤٢٧) العقد الفريد : ٦ — ٩٢ — ٩٣

(٤٢٨) معجم البلدان : ٤ — ٨٠

(٤٢٩) صفة جزيرة العرب : ٢٦٥

(٤٣٠) النقائض : ٢ — ١٠٦

نقاش هذه الآراء : وقصارى القول أن من لدنا ثلاثة أقوال مختلفة ولكنها ليست متباينة وهى أن عكاظ بين مكة والطائف أو فى أعلى نجد أو على طريق صنعاء اليمن ، وقول رابع لابن الكلبي وأحد أقوال ابن حبيب والمرزوقى وهو أنها قرب مكة ، وقد تعرضت آنفاً لإبطال الاستدلال بقول ابن حبيب ، والمرزوقى ناقل عن ابن حبيب دون تمحيص أو تدقيق ، أما ابن الكلبي فلعله خلط بين سوق عكاظ وبين سوق آخر كان يقام تلك الجهة (أسفل مكة على بريد منها) ، أما ما قاله ابن الأثير والسيوطى والجوهرى فقد تعرضت لمصدر الوهم الذى وقعوا فيه فى مكان سبق .

أما الأقوال الثلاثة فيمكن أن نعالجها بطريقة الفقهاء ، وهى محاولة الجمع بين النصوص المختلفة إن أمكن ، وأحسب أن الجمع بين هذه النصوص ممكن دون إبطال دلالة أى منها ، وهو : أن عكاظ تقع فى بقعة من الأرض فسيحة شرق جبال السراة فتكون حينئذ من نجد فى أعلاه لأن ما سهل من الأرض شرق السراة من وسطها فهو صقع نجدى حتى أن بعضاً من أهل معاجم البلدان اعتبر المدينة وبدراً نجديتين لهذا السبب ، وقد رأيت بعضاً من الأقوال الآنفة الذكر تحدد نجداً بعكاظ وذكرت معها أماكن تقع شرقى السراة ولكنها قريبة منها إن لم تكن ملتصقة بها كبدر(٤٣١) ولذلك جعل الهمدانى نجد السراة ديار هوازن من عكاظ والعبر(٤٣٢) ، ويمكن للصنعانى المسافر إلى صنعاء من مكة أو القافل منها إلى صنعاء عن طريق الحجاز (وليس عن طريق تهامة) أن يمر بتلك البقعة أو قريباً منها ، وهذه البقعة لابد أن تكون بين مكة والطائف

---

(٤٣١)

(٤٣٢) بلوغ الأرب : ١ — ١٨٨

للطائف أقرب بحيث يمكن للطائفى المرور بها أو بقربها منحدراً إلى الغور أو منجداً إلى الطائف عن طريق قرن المنازل ، وبهذه الطريقة أمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة المختلفة .

ملحوظتان :

١ — قد يلحظ القارىء تردد هذين الظرفين (بين ووراء) فى تحديد موقع عكاظ كقولهم : « بين مكة والطائف وبين نخلة والطائف وبين الطائف ونجد » وقولهم : « وراء قرن المنازل » وهما ظرفا مكان ولكنهما لا يفيدان التحديد الدقيق لأن أية نقطة بين مكة والطائف مثلا مهما بعدت أو قربت من أحدهما يمكن أن توصف بأنها بين مكة والطائف وكذلك شأن (وراء) ، ولذلك احترس البعض فقال(٤٣٣) : « وهو إلى الطائف أقرب » وأيضاً فإن هذين الظرفين لا يدلان دلالة قاطعة على أن المسافر من مكة إلى الطائف لابد أن يمر بهذا الموضع فقد يمره وقد يمر حَوْلَهُ من قرب أو بعد وتبقى دلاله (بين ووراء) قائمة وهى المكانية .

٢ — وينبغى للقارىء أن يلحظ أن مسألة هامة جداً وهى تعدد الطرق لا سيما بين مكة والطائف ، وقد جعلها الشيخ حمد الجاسر أربعة طرق فقال(٤٣٤) : « أقول : للطائف من مكة أربعة طرق ، طريق يمر بعرفات ثم بعقبة كراء ثم بأعلى وادى قَرْن — وادى المحرم — ثم بالطائف ومنه سلك الرسول الله صلى الله عليه وسلم فى عودته من دعوة ثقيف إلى الإسلام ، وهو

(٤٣٣) صفة جزيرة العرب : ٧١

(٤٣٤) انظر مثلا فتح البارى : ٨ — ٦٧

أخصر الطرق وأوعرها ، والثانى : يمر بمنهل حنين — عين الشرائع — ثم يتجه صوب الشرق ، فيصعد عقبة دجنى (وتصحف فى الكتب القديمة بدحنى وتحرف بتجنى) فوادى قرن فالطائف ، وكانت القوافل تأتى معه ؛ قال أحد شعراء مكة فى القرن الحادى عشر الهجرى (قاضى القضاة جمال الدين محمد بن على الشيبي المكى) :

رأى صاحبي أثمار « وج » فقال لى :

ترى هـذه الأثمار تسقط أو تجنى

فقلت له : كلها — هنيئاً — فإنما

أطايبها تجنى ويأتيك من « تجنى »

والطريق الثالث : يمر بالشرائع فوادى يدعان (جدعان فى هذا العهد) فوادى سبوحة ، فقرية الزيمة فوادى نخلة اليمانية ، فقرن المنازل (السيل الكبير) فالمناقب (الريعان جمع ريع) ، ثم ينحرف ذات اليمين إلى الطائف ، وهذا هو الطريق الرئيسى فى هذا العهد للسيارات وللقوافل :

والرابع : لا ينحرف بعد المناقب وإنما يتجه شرقاً حتى يحوز الجبال ، ويدع جبال الطائف أيمنه ، فيمر بقرب عكاظ ثم يأتى إلى الطائف من أسفله ، والمتقدمون الذين قالوا إن سوق عكاظ بين نخلة والطائف ، قصدوا هذا الطريق ، ومنه سارت قريش حينما انهزمت فى وقعات الفجار مارة بنخلة ، وقد سلكه الرسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الطائف ، مر بنخلة اليمانية

فقرن المنازل ، فبطن المليح ، فبحرة الرغاء من وادى لية ، فوادى نخب ، فالقرن الأسود ، فالطائف » فى هذه الحالة — أعنى تعدد الطرق — يجب أن يكون الحكم الفصل لأكثرها طرقاً واستعمالا من ناحية أو لأسهلها وأيسرها من ناحية أخرى ، وإذا طبقنا ذلك على الطائف وجدنا أن الطريق الثانى والثالث هما أكثر الطرق طرقاً وأيسرهن أضف إلى ذلك أننا يجب أن نراعى أن الطريق المعتبر هو الطريق الذى تسلكه القوافل عادة ، وسأترك نقاش الطريق الرابع فيما يلحق من كتابة فى مكان أكثر ملاءمة من هذا المكان إن شاء الله تعالى .

آراء المحدثين

قبل أن أدلى بدلوى مع الماتحين فأزجى رأيى فى موضع عكاظ فإنه يجمل بى أن أستعرض طرفاً من آراء المحدثين فأناقشها وسأفعل ذلك إن شاء الله بعد تبيينى للخطوات التى أتبعها فى بحثى هذا لأخلص منها إلى تحديد موقع عكاظ وهى :

١ — استعراض ما قاله الأوائل مستبعدا من هذه الأقوال ما كان مضطرباً كما رأيت مثلا فى رأى ابن حبيب ، ومحاولا الجمع بين ما اختلف منها وقد رأيت ذلك فيما سبق ، ثم الاهتداء بالعلامات البارزة والأمارات الواضحة التى وردت فى أقوالهم سواء كانت فى عكاظ نفسه أو على مقربة منه أو على دعوة منه ، وأخيراً الاستفادة مما قيل من شعر فى عكاظ أو فى أيامه من شأنه أن يذكر شيئاً من عكاظ أو مما حوله .

٢ — مناقشة آراء وأدلة المحدثين الذين تعرضوا لتحديد موقع عكاظ ، وأقصد ذلك النوع من الباحثين الذين حققوا ومحصوا ودققوا وعلى حظ كبير من الدراية والتجربة ، وأخص بالذكر شيخين جليلين هما الشيخ محمد بن بليهد النجدى والشيخ حمد الجاسر غير ملتفت لآراء كثير من الناس يطلقها دون تحر أو درس أو استدلال رائدهم فى ذلك التخمين ، والتخمين لا محل له فى البحث العلمى إلا حينما تنعدم الدلائل التى تعرف بها الحقيقة والدلائل — لا شك — متاحة لمن نقب عنها ، وقبل أن أبدأ بنقاش آراء الشيخين فإنى أحب أن أمر على بعض الآراء التى لن أقف عندها طويلا وهى : أن عكاظ

يقع فى وادى لية ، أو يقع قرب مكة أو القانس وقد كفانى الشيخ محمد ابن بليهد الرد على من قال إنه يقع قرب مكة(٤٣٦) وهناك من يرى أن عكاظ يقع فى السيل الصغير وعلى رأسهم فلبي(٤٣٧) وحجتهم مردودة بالبديهة وهى أن السيل الصغير لا يمكن أن يتسع للأعداد الهائلة التى تفد إلى عكاظ ، ولقد بنيت ضخامة هذه الأعداد فى موضع غير هذا ، وهناك من يرى أن عكاظ هو السيل الكبير (قرن المنازل) ، وأحدث رأى قرأته عن موقع عكاظ هو رأى الشيخ أحمد السباعي الذى نشره فى جريدة (عكاظ) اليومية والذى رجح أن يكون (السيل الكبير) هو (عكاظ) فقال(٤٣٨) : « ولا نكران فى أن السيل الصغير يقع بين نخلة والطائف إلا أن المسيرة بينه وبين الطائف لا تزيد عن مسيرة نصف يوم إلى الطائف ، هذا بالإضافة إلى انفساح الأرض فى السيل الكبير قابل لكل القبول لاستيعاب أكبر عدد ممكن من خيام القبائل مهما توافر عددها ، ويؤكد لى هذا الميل أن ثمة صخوراً كبيرة مبعثرة فى أرض الوادى صالحة فى رأيى لأن يتسنمها شعراء السوق ووعاظه ، أضف إلى هذا . الوادى بالماء فإن مسيله لا يكاد ينقطع فى أكثر فصول السنة » ويتواضع — جزاه الله خيراً — فيقول : « إن ميلى لهذا لا يزيد عن حدس يصح أن يتحقق غيره إذا توفرت الجهود على البحث والتحرى وتأملت الأدله الناصعة على تحديد صحيح » ، والشيخ السباعى هو مؤلف كتاب « تاريخ مكة » وهو — لا شك — من القلائل الذين يفترض فيهم أن يكونوا على معرفة بأسواق مكة وأسواق قريش ، وعكاظ واحدة من تلك .

---

(٤٣٦) صحيح الأخبار : ٢ — ٢١١ ، ٢١٥

(٤٣٧) أسواق العرب (عن « فى منزل الوحى ») ٢٨٦ — ٢٨٧

(٤٣٨) جريدة عكاظ رقم ٣٢٠٠ تاريخ ٢٠ صفر ١٣٩٥ هـ

ورغم احترامى للشيوخ وآرائهم فإن البحث العلمى يحتم على أن أرد عليهم إذا تبينت أن الرد يخدم قضية علمية ، وردى على هذا الشيخ ومن رأى رأيه يتلخص فيما يلى :

١ — أن السيل الكبير وهو (قرن المنازل) أشهر من أن يكون موقع سوق عكاظ فلا ينوه القدماء بذلك ، فالقدماء ذكروا قرن المنازل وذكروا أن عكاظ وراءه(٤٣٩) ولم يذكر أحد منهم أن قرن المنازل هو عكاظ .

٢ — لتكاد تجمع الروايات على أن عكاظ إما واد أو صحراء وخالية من الصخور الكثيرة ، والشعراء والوعاظ فى عكاظ لم يكونوا يتسنمون الصخور وإنما يعظون على ظهور جمالهم كما فعل قس بن ساعدة الأيادى(٤٤٠) أو فى ظل سرحة(٤٤١) « وكانت بعكاظ منابر فى الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته فعاله وعن مآثره وأيام قومه ... »(٤٤٢) ، ولو كانت هناك صخور يقف عليها الخطيب أو الشاعر لذكرت ، وفى عدم ذكرها مايدلنا على أن عكاظ خلو من الصخور الكثيرة المتناثرة عدا صخرات ذكر الأصمعى أن العرب كانوا يطوفون بها ويحجون إليها(٤٤٣) .

٣ — وجود الماء بكثرة فى السيل الكبير لا يكفى فى الدلالة على أنه موقع عكاظ ذلك لأن العربى يكفيه القليل من الماء حتى أنه يجزىء مع ماشيته

---

(٤٣٩) انظر مثلا الازرقى : ١ — ٢١٠ وفتح البارى : ٨ — ٦٧١

(٤٤٠) البيان والتبيين : ١ — ٣٠٨ ،شرح المقامات : ٤ — ٣٩٤

(٤٤١) المختلف والمؤتلف : ١٧٩ .

(٤٤٢) الازمنة والامكنة ٢ — ١٧٠

(٤٤٣) معجم البلدان : ٤ — ١٤٢

فى أوقات معينة من السنة ، صحيح أن الماء ضرورى لمثل هذا الحشد الهائل من الناس ولكن الآبار تكفى .

آراء ابن بليهد : بعد جهد وتدقيق ورحلة وصل ابن بليهد إلى رأى قاطع فى موضع عكاظ فقال(٤٤٤) : « ثبت عندى أن موضعه يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلو مترات تقريباً من الجهة الشرقية منه وعن الطائف مقدار أربعين كيلو ، وذلك عند المكان الذى يلتقى فيه الواديان : وادى شرب ووادى الأخيضر ، شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوداء وجنوبيه أكمة بيضاء يقال لها العبلاء من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، وشماليه هو الفاصل بين وادى شرب ووادى قران المعروفين بهذين الاسمين إلى هذا العهد » .

والشيخ ابن بليهد توصل إلى هذا الرأى بعد أن أمضى أربع عشرة سنة فى البحث عن عكاظ ، وبعد اطلاع على كتب الأدب والمعاجم ، يقول(٤٤٥) : « وإنى قد بدأت البحث عن سوق عكاظ وتحقيق موضعه من سنة ١٣٥٥ هـ ، وانتهيت منه فى شوال سنة ١٣٦٩ هـ » ويقول أيضاً(٤٤٦) : « فمازلت أتتبع كتب الأدب والمعاجم التى أظن أنى أجده فيها فإذا وجدت عبارة قريبة من الصواب عرفت موضعها من الكتاب ، وصنتها فى حافظتى ، حتى إذا اكتملت لدى الدلائل الواضحة ولله الحمد والمنة عزمت على تطبيقها على الطبيعة وتحديد موضع سوق عكاظ » ، وأيم الحق إنما فعله ابن بليهد هو ما يجب على كل باحث أن يفعله .

---

(٤٤٤) صحيح الاخبار : ٢ — ٢١١

(٤٤٥) نفس المصدر والجزء : ٢١٧

(٤٤٦) نفس المصدر والجزء : ٢١١

ورغم أنى احتفظ للشيخ ابن بليهد بكل تقـدير وأكبر جهده أيما إكبار فسأناقش رأيه ما وسعنى النقاش العلمى ، فلأبدأ بتوفيق الله ذلك النقاش :

نظرة عامة : أردت أن أقف على تحـديد ابن بليهد لعكاظ عن كثب وأراه بالعين المجردة ، فقمت يوم الخميس الموافق ١٣٩٥/٢/١٦ هـ بزيارة ذلك الموضع المحدد فى خريطة ابن بليهد وصحبت خريطته معى ، ورافقنى نخبة من الشباب من أهل المعرفة والرأى فاستأنست بآرائهم وملاحظاتهم ومساعدتى فى تطبيق الخريطة على الأماكن الموجودة هناك ، وأخص بالذكر منهم الأستاذ عبد العزيز الشائع مدير دار التوحيد الثانوية وله معرفة بالأراضى الواقعة بين الطائف والموية القديم ، والأستاذ عبد الله بن محمد اليحى والأستاذ عبد الرحمن الشائع ، فتجولت فى تلك الربوع بعين الفاحص فلاحظت ثلاث ثغرات يمكن أن ينفذ منهن :

الأولى : بعد المسافة بينه وبين الطائف (والمسافة أربعون كيلو أو أكثر قليلا ، وهـذه الشقة بين الطائف وبين هذا الموضع تخالف ما عليه النصوص من أن المسافة بين الطائف وعكاظ عشرة أميال[٤٤٧] أو بريد فى بعض الروايات[٤٤٨] والبريد يعادل اثنى عشر ميلا ، وأربعون كيلو متراً تساوى أكثر من ضعف ذلك ، ومن حدده بسير الراحلة جعل المسافة ليلة واحدة[٤٤٩] والراحلة العادية لا يمكن أن تقطع مسافة أربعين كيلو فى الليلة ، ومن هنا يتبين وجه خلل فى هذا التحديد .

---

(٤٤٧) فتح البارى : ٨ — ٦٧١ ، معجم ما استعجم : ٣ — ٩٥٩ ، العقد : ٦ـ٨٩

(٤٤٨) تاريخ مكة : ١ — ٢١٠

(٤٤٩) بلاد العرب : ٣١ ، معجم البلدان : ٤ — ١٤٢

الثانيــة : جعل (الحُوَيْرة) من عــكاظ ، والأكثرون على أنها خارجة عنه وإن كانت على مقربة منه[٤٥٠] ، والأنــكى من ذلك أنه جعلها شمالى شرقى عــكاظ مستدلا بقول عرام بن الأصبغ السلمى على حذر عمه : « وإذا كنت فى عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء »[٤٥١] وهذا الدليل سيكون موضع نقاش آت إن شاء الله ، والروايات تــكاد تجمع على أن الحريرة تقع جهة الجنوب من عــكاظ[٤٥٢] .

الثالثــة : جعل (العبلاء) من عــكاظ وهى خارجة عنه[٤٥٣] ومن هذه النظرة العامة تدرك أن هــذه الثغرات الثلاث كافيــة لهلهلة ما بناه الشيخ محمد ابن بليهد النجدى رحمه الله .

مناقشة أدلتــه : قبل أن يدلف الشيخ إلى تبيين الأدلة الخمسة التى استند عليها قال[٤٥٤] : « فمن أراد أن يقف برجله ويرى الآثار الدارسة والأطلال البالية فليذهب إلى هناك كما ذهبت إليها ورأيتها بعينى » أى آثار يقصدها ؟! إنه ذلك الأطم الأبيض أو ما حوله من مقابر ، ولا يخفى على من له نظرة فاحصة أن هذا الأطم أحدث بكثير من أن يــكون أثراً بالياً من آثار عكاظ ، فطريقة تصميمه وهندسته وما فيه من عِقَد تدل دلالة واضحة على أن الأطم لا يزيد على الستمائة سنة بحالٍ من الأحوال ، وهو يشبه هندسة الأتراك العثمانيين فى بناء

---

(٤٥٠) الأغانى : ١٩ — ٨٠ ، العقد : ٦ — ٩٣ ، معجم ما استعجم : ٣ — ٩٦٢

(٤٥١) صحيح الاخبار : ٢/٢١٣

(٤٥٢) المنمق : ٢١٣ ، معجم ما استعجم : ٣ — ٩٦٢

(٤٥٣) الأغانى : ١٩ — ٧٨ ، معجم البلدان : ٤ — ٨١ ، البداية والنهاية : ٢ — ٢٩٠

(٤٥٤) صحيح الاخبار : ٢ — ٢١١

قلاعهم وحصونهم فى الجزيرة العربية ويعرفه البدو هناك بقصر الشريف أبى نُمَىّ ، أما المقابر فبدهى أن تندثر معالمها فى مدة أقصر من اثنى عشر قرناً ، فعكاظ لم تقم له قائمة منذ ذلك الوقت أو قبله بقليل ، كما أنى شخصياً أشك أن فى عكاظ عمراناً وحضارة تبقى أثرها حتى اليوم ، ذلك أن العرب كانت تسكن فى خدورها وقبابها تصطحبها معها وأن حكمها الأدبى النابغة الذبيانى كانت تضرب له قبة من أدم حمراء(٤٥٥) ، ولو كانت هناك بنايات لكان النابغة أولى وأحق من يسكنها ، وكل ما يمكن أن يكون فى عكاظ من بقايا هو ما يتركه البدوى عادة فى ربوعه التى يقطن فيها ثم يرحل عنها من أثاف سفع أو نؤى كجذم الحوض أوما إلى ذلك مما تغيره الأرواح والديم ولا يبقى زمناً طويلا .

وأول أدلة الشيخ : أرجوزة عيسى بن أحمد الرداعى اليمنى التى ذكرت لك طرفاً منها آنفاً وسأجتزىء لك الأبيات التى تعنينا مع الاحتفاظ بترتيب الأبيات لضرورة ذلك ، والقصيدة التى أوردها تتألف من أربعة مقاطع سأجتزىء من كل مقطع ما يهمنا ثم أورد بعده وجه دلالة الشيخ :

وأوقح ذى المنهل الوضاخ   قاربة للورد من كلاخ

« انظر أيها القارىء تجد أن الشاعر خرج من أوقح ووصل كلاخ ، وهما موضعان معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، ويقعان فى الجهة الجنوبية من عكاظ » .

يا هند لو أبصرت عن عيانى   قلائص يوضعن فى جلدان

---

(٤٥٥) الوشح : ٢٢

« وجلدان : لم يتغير اسمه إلى هذا العهد ، بين عكاظ وكلاخ ، وهناك هضبة منفردة عن الجبل تسميها العرب إلى هذا العهد « حلاة جلدان » :

مشـققه من زاجر كظاظ   مسهلة فى الأرض من عكاظ

« الآن الشاعر فى عكاظ ، انظر أيها القارىء كلامه حين خرج منه فقال :

فانجردت بالرفــق العصائب   عيــدية مفعمة المنـا كب

بـكل خف مستدير الجانب   وحيث خط الميل كف الـكاتب

تـــاركة قران للمنــاقب   وشربا فى صبح ليل واقب

« انظر أيها القارىء كلام الرداعى لمـا خرج من عـكاظ وقال « تاركة شرب » وهو الوادى الذى يفيض على عـكاظ ويشقه من الجهة الشمالية منه ، وقال « تاركة قران للمناقب ، وقران : هو واد يأتى سيله بين الصغير وبين عـكاظ ، يصب سيله فى وادى العقيق ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لا يزال يسمى « قران » ، والمناقب : معلوم أنها الريعان التى تقع بين السيل الصغير والسيل الـكبير »(٤٥٦) .

وهذه الأرجوزة إحــدى أدلة الشيخ حمد الجاسر فنقاشى لها يغفينى من مناقشتها حين نتعرض لأدلة الأستاذ حمد إن شاء الله .

أقول : إن أرجـوزة الرداعى ليس فيها ما يقطع بأن عـكاظ الذى ذكره ومر عليــه هو تلك البقعة التى حـددها الشيخان البليهد والجاسر ، ذلك أن

---

(٤٥٦) صحيح الاخبار : ٢ـــ٢١٢ـــ٢١٣

الرداعى اتجه من « جلدان » إلى « قران والمناقب » ماراً بعكاظ ، وجلدان يكاد يكون على خط مستقيم مع « قران » عند مبدئه والمناقب فلماذا ينحرف الرداعى جهة اليمين ليمر بعكاظ ابن بليهد ثم ينحدر مرة أخرى ذات اليسار ، ومعلوم أن طريق القوافل عادة يكون أقرب إلى الاستقامة من طريق السيارات الآن مالم يمنعها مفازة أو عدو أو حواجز طبيعية كالجبال العالية ، والمنطقة كما أعرفها بين جلدان وبين قران والمناقب ليست بمفازة وليس هناك حواجز طبيعية تقسرها على السير ذات اليمين ، أضف إلى ذلك أن من قلب هذه الأرجوزة ، خاصة المقطع الذى ذكر فيه انطلاقه من عكاظ إلى المناقب تاركا قران وشربا أدرك من نَفَس القصيدة أن عكاظ قريب جداً من قران والمناقب وبعيد عن جلدان ، وجلدان على تحديد ابن بليهد أقرب إلى عكاظ ، إذن فوجه دلالة هذه الأرجوزة لا تشهد للشيخين بقدر ما تشهد عليهما ، وسأبين وجه الدلالة منها — إن شاء الله — حينما أتعرض لتحديد عكاظ .

الدليل الثانى : « ما ذكره عرام بن الأصبغ السلمى ، قال فى كتابه « جبال تهامة والحجاز ومحالها » قال لما مر على ذكر عكاظ : « هو أرض مستوية ليس بها جبال ، وإذا كنت فى عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، وبها عبيلات بيض كان العرب يطيفون بها فى جاهليتهم و ينحرون عندها انتهى » : وقد رأيت بعينى الأرض المستوية التى ليس بها جبال ، ورأيت العبيلات البيض ، ورأيت الحرة السوداء وأنا فى صحبة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز لما آب من قنصه وما اشتبه علينا شىء من ذلك »(٤٥٧) .

---

(٤٥٧) صحيح الاخبار ٢ — ٢٠٣

أقول : إن ما نسبه الشيخ ابن بليهد إلى عرام من قوله : « وإذا كنت فى عـكاظها ، غير موجود فى كتاب عرام الذى بين أيدينا وقد لاحظ ذلك محقق هـذه الرسالة عبد السلام هارون ، ولست أدرى من أين أتى به هـذا الشيخ ، وأقرب ما يـكون أن ابن بليهد وجده هامشاً على كتاب عرام هـذا أو أنه خلط بينه وبين كتاب آخر ، وعلى كل حال ، فالنص بحالته هذه والتى قال عنها عبد السلام هارون[٤٥٨] « وقد أورد ابن بليهد نصاً غريباً ... » لا يصلح أن يكون دليلا تعتبر قطعية الدلالة فيه ، وإنما يصلح للاستئناس وأن يكون عضد الدليل آخر مشابه إن وجد ، وهو غير موجود .

الدليل الثالث : « الذى رواه ياقوت عن الأصمعى فى معجم البلدان — لمـا ذكر ياقوت عكاظ وأكثر الروايات عنه قال : « وقال الأصمعى : عكاظ واد به نخل ، بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، به كانت أيام الفجار ، وكان هناك صخور يطوفون بها ، ويحجون إليها » ، أما تحـديد الأصمعى فهو صحيح وسألت أعراب تلك الناحية عن المسافة ورواية الأصمعى تقـارب رواية عرام حيث ذكر الصخور التى يطوفون عندها ويذبحون لها »[٤٥٩] أقول : إن رواية الأصمعى هذه لا تشهد لابن بليهد فى تحديد ، لعكاظ بقـدر ما تشهد عليـه لأن الأصمعى جعـل المسافة بين عـكاظ وبين الطائف ليلة ، وابن بليهد جعلها أربعين كيلو متراً على الأقل ، والقوافل لا تقطع مثل هذه المسافة فى ليلة فى الظروف العادية ، وقد فرغنا من مناقشته المسافة فى قول مضى فارجع إليه إن شئت .

---

(٤٥٨) نوادر المخطوطات : ٢ — ٤٤٠

(٤٥٩) صحيح الاخبار ٢ — ٢١٣

الدليل الرابع : أثبت فيه أن الأماكن التى وقعت فيها حروب الفجار الأربعة من عكاظ وهى : أيام شمطة والعبلاء وشرب والحريرة فى مقال مفصل(٤٦٠) أقول : قد فرغت من مناقشة هذه الأماكن وماقلته ردا على هذا الدليل بيد أنى أتساءل لماذا لم يذكر الشيخ موقع الحريرة من عكاظ حينما تعرض لها رغم أن ذلك منصوص عليه فى كتب المعاجم كما أشرنا إلى ذلك ، ذلك أن التعرض لموقعها من عكاظ سيهدم عليه تحديده لعكاظ .

الدليل الخامس : « بيت الكمت بن زيد الأسلوى فى إحدى قصائده حين قال :

أهل الحنيفة فأسأل عن مكارمهم ‏ ‏ ‏ ‏ بالمسجدين وملقى الرحل من شرب

قال مصنف هذه الأحرف : قرأت هذه القصيدة التى منها هذا البيت على الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ونحن ببلد أشيقر ، وهو رجل علامة فى جميع الفنون ، وبالأخص فى تاريخ العرب وأنسابهم وديارهم ومتنقلاتهم فلما مررت على هذا البيت أشكل على منه : ملقى الرحل من شرب ، فسألته عن ملقى الرحل من شرب ، فقال لى : إن هذا الشاعر ذكر بنى هاشم ومكارمهم ، فقال : فاسأل عن مكارمهم أهل مكة وأهل المدينة وملقى الرحل من شرب : هو سوق عكاظ ، قلت له : شرب هو اسم عكاظ ؟ قال شرب واد قريب من الطائف ينصب من الغرب إلى جهة الشرق وعنده واد يقال له الأخيضر ينصب فى الغرب إلى جهة الشرق وهذان الواديان ينصبان فى غرب عكاظ ، ويتجهان إلى الجهة الشرقية منه ، قلت له من أين أخذت هذا التحديد الواضح ؟ قال :

---

(٤٦٠) نفس المصدر والجزء : ٢١٣ـــ٢١٤

أخذته من كتاب فى مكتبة بالبصرة هو أحسن من معجم البلدان فى ذكر نجد وجبالها ومياهها . فقلت له : هـــذا الـكتاب طبع أو خط ، قال إنه خط انتهى »[٤٦١] .

أقول : فى هذا الدليل نقطتان يحسن الوقوف عندها :

أولاها : إستدلاله ببيت الـكميت على أن ملتقي الوحل من شرب هو عـكاظ إستدلال يحتاج إلى نظر ، فشرب واد لا بأس بطوله وهو حسب أقوال معاجم البلدان من عكاظ فى نقطة ، والوادى لطوله لا يمـكن أن يكون جميعه من عـكاظ ، فهو يبدأ قريباً من السيل الصغير ويتجه شرقاً حتى يلتقى بوادى الأخيضر ، فلماذا صح عند ابن بليهد أن يكون نقطة إلتقائه مع الأخيضر هو عـكاظ وليس نقطه أخرى ! أضف إلى ذلك عدم تعرض الـكتب فى وصفها لسوق عـكاظ لذكر وادى الأخيضر باسمه المعروف الآن أو باسم آخر إن كان له اسم آخر أو على الأقل فإن ابن بليهد لم يذكر هل لوادى الأخيضر اسم قديم مختلف ، أما الشيخ الجاسر فيسميه (بوادى عـكاظ)[٤٦٢] وهو قول يحتاج إلى إثبات إذ لو ثبت أن وادى الأخيضر هو وادى عكاظ لأصبح البحث والتنقيب عن موضع عكاظ ضربا من العبث ، ولو كان موقع عـكاظ عند إلتقاء الواديين فما أظن أن المصادر تغفل ذلك لا سيما وأنه وصف لا يشتبه مع غيره ، وعدم ذكر المصادر لوادى الأخيضر هذا مقترنا بعـكاظ وإغفالها وصفه بأنه ملتقى الواديين شرب والأخيضر دليلان على أن عـكاظ ليس موضعه الصحيح ملتقى الواديين .

---

(٤٦١) نفس المرجع والجزء : ٢١٥

(٤٦٢) ملحق مجلة العرب ، الجزء الثالث ١٥

ثانيهما : إستدلاله بقول ابن عيسى الذى ذكر أن بالبصرة مخطوطاً أحسن من معجم البلدان إستدلال لا ترتضيه طريقة البحث المنهجية رغم توثيقنا للرجلين الراوى (ابن بليهد) والمروى عنه (ابن عيسى) لأن ابن بليهد — وهو يسوق دليلا ليثبت به حقيقة علمية تنوزع عليها — كان لزاما عليه أن يذكر اسم المخطوطة هذه واسم مؤلفها ورقم الورقة التى ورد فيها نص ابن عيسى ورقمها إن كانت فى مكتبة عامة أو اسم مالكها إن كانت فى مكتبة خاصة على الأقل ، إذا تسامحنا أو نطالبه بقراءتها لأن قراءتها كان واجباً عليه لإقتضاء البحث ذلك ، أضف إلى ذلك أن ابن عيسى اعتمد على ذاكرته فى نقل معلوماته إلى ابن بليهد فى أشيقر من مخطوطة بالبصرة بعد وقت طويل من قراءتها ، والذاكرة تكون معوضة لأن تغير أو تغفل كلمات لها دلالات هامة .

وأخيراً ، أحسب أن أدلة الشيخ ابن بليهد بعد مناقشتنا لها أصبحت أدلة فيها شىء من الهزل مما يجعل آراءه فى تحديد موقع عكاظ غير حقيقة قطعية خاصة إذا توفرت آراء ودلائل أقوى ترى أن عكاظ فى مكان آخـــر .

مناقشة آراء الشيخ جاسر : بعد الفراغ من مناقشة آراء محمد بن بليهد نذلف الآن إلى مناقشة آراء الشيخ حمد الجاسر ، والجاسر من الرجال ذوى الدأب والتحصيل بيد أنى لاحظت عليه فى بحثه عن موقع عكاظ قسر الأدلة لتنشد له أوجه دلالاتها حتى ولو كانت تشهد عليه وتجاهل الاستدلال بها إن لم تطاوعه وإليك نموذجا من ذلك :

أورد ستة عشر دليلا للأوائل لها دلالات مختلفة فجعل هذه الأقوال فى

خلاصتها تدل على أشياء كثيرة منها « أنه على طريق اليمن من مكة ، بين المناقب وبين كلاخ » ثم ساق نصاً للهمدانى يحدد مراحل الطريق الذى يأخذ بأطراف السراة مارا ببلاد عسير واختصر النص ليبدأ من بيشة وينتهى بقرن المنازل[٤٦٣] ، ونص الهمدانى لم يتعرض لعكاظ ولم يجانب الطائف ويمر بكلاخ ، والشيخ لاشك بنى هذا الحكم على أرجوزة الرداعى التى ذكرها الهمدانى وتحديد الهمدانى لمراحل الطريق بين صنعاء وبين قرن المنازل فيه خلاف للطريق الذى سجله الرداعى ، خاصة فى المراحل القريبة من الطائف ، وهو يقصد من وراء ذلك أن النصوص التى تجعل عكاظ بين مكة وبين الطائف أو بين نخلة والطائف لاتتضارب مع رأيه الذى اعتمد فيه على أرجوزة الرداعى ، وقد ناقشت وجه دلالة هذه الأرجوزة سابقاً حينما تعرضت لتفنيد آراء الشيخ ابن بليهد ، وحاول الشيخ أن يبرهن على أن عكاظ (المبعوث وما حوله) يمره الطائفى من مكة حتى ولو لم يكن له غرض فى تلك الأصقاع البعيدة عن خط سيره لأنه على رأيه هو الطريق الذى سلكه المتقدمون الذين قالوا إن سوق عكاظ بين نخلة والطائف[٤٦٤] ولذلك جعل هذا الطريق الذى يطوح بمن يريد الطائف من مكة ذات اليسار مشرقاً ثم يطوح به أخرى جهة الجنوب أو الجنوب الغربى هو الطريق الرابع ، وقد نقلنا ذلك فى مكان سبق هذا ، واستشهد الشيخ حمد على أن هذا الطريق طريق معتبر ومطروق بشاهدين :

أولهما : يتضمن قوله[٤٦٥] : « ومنه سارت قريش حينما انهزمت فى

---

(٤٦٣) موقع عكاظ ، ملحق مجلة العرب الجزء الثالث ، ١ — ١١
(٤٦٤) نفس المرجع ٣
(٤٦٥) نفس المرجع والصفحة

وقعات الفجار » وهو قول لم يسنده مصدر من المصادر ، والحقيقة أن يوم نخلة الذى تركت فيه قريش عكاظ حينما علموا بفتكة البراض بعروة الرحال ورجعوا إلى مكة تجنباً للتصادم مع هوازن يشهد ضد هذا القول ، فالمصادر مثلا تروى : أن ابن جدعان وحرب ابن أمية وهشاما والوليد بعثوا إلى أبى جراء عامر بن مالك : « إنه قد كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الأمر فلا تنكروا خروجنا، وساروا راجعين إلى مكة ، فلما كان آخر النهار بلغ أبا براء قتل البراض عروة ، فقال : خدعنى حرب وابن جدعان ، وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن فى إثر القوم فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجن عليهم الليل فكفوا »(٤٦٦) : وهوازن لا يمكن أن تسير آخر النهار خلف قريش فتلحق بهم بنخلة مهما كانت سرعتها قبل الليل وهم فى عكاظ المبعوث الذى يبعد عن نخلة (اليمانية) مرحلة أو أكثر قليلا ، ومسير هوازن آخر النهار وإدراكهم قريشاً بنخلة قبل الليل دليل على أن مكان عكاظ أقرب بكثير إلى نخلة مما رآه الشيخان البليهد والجاسر .

ثانيهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى حربه للطائف سلك هذا الطريق ذكر ذلك بعض المؤرخين كابن هشام : الذى قال(٤٦٧) « قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغاء من لية فابتنى بها مسجداً فصلى فيه ... ثم خرج منها على نخب » وأضاف الجاسر(٤٦٨) : « فالقرن الأسود فالطائف »

---

(٤٦٦) الأغانى : ١٩ — ٧٦ ، الكامل ١ — ٥٩٢

(٤٦٧) السيرة ٢ — ٤٨٢

(٤٦٨) موقع عكاظ ٦

أخذ ذلك من مصدر آخر وإن لم يشر إليه ، أقول : إن مسير النبي الله صلى الله عليه وسلم مع هـذا الطريق فى ظرف كهذا وهو حرب الطائف لا يدل على أن هذا الطريق كان مسـلوكا تطرقه القوافل المتجهة من الطائف إلى مكة ومن مكة إلى الطائف ، ذلك لأن رسـول الله ﷺ سلك هـذا الطريق البعيد فى ذلك الظرف لسببين أو لأحدهما :

١ — التعمية على ثقيف والإفلات من مراقبة عيونها وتضليلهم ، وهـذه خطة عسكرية حكيمة تتبع دائماً .

٢ — أن الطائف من أسفله أقل تحصيناً أو أصلح أرضاً للمعركة منـه فى الجهات الأخرى ، ولذلك أتاه رسول الله ﷺ وجنده من تلك الناحية ، ويبدو لى أن هذا الطريق غير مطروق أو غير معروف ، ولذلك لم يعده كل من قدامة ابن جعفر وابن رسته حينما تعرضا للطريق من مـــكة إلى الطائف ، قال أولهما(٤٦٩) : ومن مكة طريق الطائف ثلاث مراحل من مكة إلى بئر بن المرتفع ومن بئر المرتفع إلى قرن المنازل قرية منها يحرم أهل اليمن يعدل منها إلى الطائف يمنة ، ومن يخرج من مكة يريد الطائف يأتى عرفات ثم يجوز منها إلى بطن نعمان جبلا (كذا) يقال له نعمان السحاب لأن السحاب أبداً عليه ثم يصعد منه عقبة فإذا استوى عليها الصاعـد أشرف على الطائف ثم ينحدر ويصعد أيضاً عقبة خفيفة تسمى تنعيم الطائف » ، وقال ثانيهما(٤٧٠) : « من سلك ذلك الطريق من مكة إلى الطائف على العقبة أخذ على عرفات ثم يجوز منها إلى بطن نعمان ثم يصعد عقبة منه فإذا استوى على العقبة أشرف على الطائف ثم ينحـدر منها

---

(٤٦٩) كتاب الخراج ١٨٧

(٤٧٠) الأعلاق النفيسة ١٨٤

ويصعد أيضاً عقبة خفيفة تسمى ... (كذا) ثم يدخل الطائف ، وطريق آخر للطائف : تأخذ على بئر ابن المرتفع ثم إلى قرن المنازل وهو ميقات أهل اليمن للاحرام ومنها تعدل إلى الطائف » ، ولو أن رسول الله ﷺ فى حربه للطائف مر بعكاظ أو قريباً منه لما أهمل المؤرخون ذكر ذلك ، خاصة أنهم ذكروا مروره ﷺ بأماكن أكثر خمولا من عكاظ ، وعدم ذكرهم له دليل على أن عكاظ يقع فى ناحية أخرى .

ومن أهم ما نلاحظ على الجاسر ثلاث نقاط :

أولاهما : أنه لا يعتبر الوحدة القياسية التى حددها الأقدمون للمسافة بين عكاظ ، وهى عشرة أميال أو بريد (اثنا عشر ميلا) لأنه لا يرى هذا التحديد ضرورياً فى التعرف على موقع عكاظ ، يقول(٤٧١) : « وأنه يبعد عن الطائف مسافة اختلاف المتقدمون فى تقديرها بين عشرة أميال ، أو بريد (=١٢ ميلا) ، أو مسيرة يوم ، ولكن هذا الاختلاف ليس جوهرياً ، فإذا لاحظنا أن الطائف لا يطلق على المدينة وحدها ، بل يشمل ما يجاورها من الأمكنة والقرى ، التابعة لها ، ظهر لنا أن تحديد المسافة فى جميع تلك الأقوال ، له وجه من الصحة والإتقان » .

أقول : إن التعرف على المسافة بين عكاظ وبين الطائف أمر جوهرى لا شك فى تحديد موقع عكاظ ، وهو ليس جوهرياً عند الشيخ لأن موقع عكاظ (المبعوث وما حوله) يبعد عن الطائف أكثر من ضعف هذه المسافة ، ولو اعتبره جوهرياً للزمه أن يبحث عن مكان آخر لعكاظ ، وأراد أن يبرر

---

(٤٧١) موقع عكاظ ١٠

عدم جوهرية تحديد المسافة بقوله : إن الطائف لا يطلق على المدينة وحدها بل يشمل مايجاورها من الأمكنة والقرى ، فأىّ مكان أو قرية يقصد جهة الشرق، ثم ألا يمكن أن يدخل عكاظ أيضاً ضمن هذه القرى والأماكن التى يشملها الطائف فهو أحد أعمال الطائف ؟(٤٧٢) .

ثانيتهما : حينما أتى إلى ذكر (حضن) أحد الجبال التى رأى فى ذكرها تثبيتاً لرأيه فى تحديد عكاظ رأى أنه يبعد مسيرة يوم للإبل عن عكاظ ويمكن للرائى مشاهدته عن بعد ، ولكن الهمدانى الذى أضاف حضنا إلى عكاظ لم يجعل المسافة بينهما يوماً واحد فقط ، وإنما جعلها يوماً وكسراً ، يقول(٤٧٣) : «قران وشرب مكانان من أرض عكاظ ، وهذه المواضع من الجرداء ، ويضرب على مشرق هذه المواضع جبل الحضن من المحجة على يوم وكسر » وأحسب أن المسافة بين حضن وبين المبعوث تقارب اليوم ، وبناء على هذا فعكاظ يجب أن تكون فى مكان أبعد من البقعة التى رأى الشيخان أنها عكاظ :

ثالثتهما : يلاحظ على الشيخين ابن بليهد والجاسر إدخالهما (شَرِباً) فى عكاظ وإخراج (قُرَّان) منه رغم أن هذين الموضعين وردا معاً فى نصوص استشهدا بها تدل على أن المكانين من عكاظ ، يقول الهمدانى(٤٧٤) : « قران وشرب مكانان من أرض عكاظ » ، ويقول الرداعى فى أرجوزته(٤٧٥) :

---

(٤٧٢) انظر مثلا : تاريخ مكة ١ — ٢١٠ ، تاريخ ابن خلدون ٢ — ٦٤١

(٤٧٣) صفة جزيرة العرب ٢٦٦

(٤٧٤) صفة جزيرة العرب ٢٦٦

(٤٧٥) نفس المصدر ٢٦٥

فانجردت بالرفق العصائب عيدية مفعمة المناكب
تاركة « قران » للمناقب بحيث خط الميل كف الكاتب
و « شربا » في جنح ليل واقب بكل محض حسن الضرائب

وهما أدخلا « شربا » وأخرجا « قران » لأن « شربا » في نقطة معينة يمر بعكاظ (المبعوث وما حوله) أما « قران » فلا يمر بتلك البقعة بل ويبعد عنها مسافة لا تقل عن مسيرة نصف يوم على الراحلة،وسأبسط الكلام في هذه المسألة حينما أستدل لرأيي في موقع عكاظ إن شاء الله ، هذه بعض ملاحظات رأيت ضرورة إبدائها ، وحسبي ذلك مع الشيخ الجاسر .

رأيي في موقع عكاظ

منهجي : يجدر بي أن أبدأ في تحديد موقع عكاظ كما تبين لي أن أذكر منهجي في هذا البحث الذي قادني إلى تحديد الموقع ، ويتلخص فيما يلي :

١ — التنقيب في المصادر الأدبية والتي تهتم بتحديد الأماكن ووصفها ومعاجم البلدان منها على وجه الخصوص ثم الرجوع إلى المصادر التاريخية خاصة تلك التي سجلت أيام عكاظ ، واستخراج كل نص له علاقة بعكاظ أو من شأنه أن يعين في تحديده ، وإعطاء دلالة النصوص الشعرية أولوية في مجال التحديد خاصة إذا كانت هذه النصوص تعزى لشعراء حضروا عكاظ بصورة أو بأخرى ، وعلى رأس هؤلاء حكم عكاظ الأدبي النابغة الذبياني وأحد فرسان هوازن خداش بن زهير الذي خاض معارك عكاظ وسجل ذلك في شعره .

٢ — استعراض الأدلة استعراضاً جدلياً بحيث يسقط ما ضعف منها أو ما كان وجه دلالته لا يقوى على معارضة النصوص الأخرى ، وقد فعلت جزءا من ذلك في مبدأ بحثي عن تحديد السوق في شأن نص لابن حبيب وآخر لابن الكلبي .

٣ — الاستدلال بالقرائن والأمارات البارزة التي وردت مقترنة بعكاظ في بعض النصوص والتي من شأنها أن تهدي الباحث إلى جهة عكاظ أو موقعه .

٤ — القيام برحلة إلى الأماكن المحتملة لعكاظ ، وزاد الباحث في مثل هذا

البحث شيئان : النصوص والرحلة ، والرحلة ضرورتها تأتى بعد دراسة النصوص لتطبيقها على المكان تطبيقاً كلياً إن أمكن أو تقريبياً ، ولقد تزودت بكليهما ، فجمعت النصوص الممكنة من مصادرها ثم درستها ودرست ما فيها من دلائل وأمارات ثم قمت برحلة طبقت ما فى هذه النصوص من دلائل وأمارات من شأنها أن تهدى إلى موقع عكاظ .

٥ — الاطلاع على آراء المحدثين ذات الطابع العلمى والاستقراء الدقيق ، ومناقشتها والرد عليها كما فعلت ذلك بآراء الشيخين محمد بن بليهد وحمد الجاسر .

٦ — محاولة التعرف على أسماء الأماكن والأعلام المندثرة التى لا يعرف لها اسم الآن ، أو على اسمها الجديد إن كان اسمها القديم قد صحف أو حرف أو غير كما هو الشأن فى كثير من أسماء البقاع والجبال .

٧ — رسم خريطة موقع عكاظ ومواقع غيره مما له صلة بعكاظ .

الأدلة : لقد سقت آنفاً ما قاله الأوائل عن عكاظ بتفصيل وسأسوق منها الآن تلك النصوص التى تجعل عكاظ بين نخلة والطائف أو بين مكة والطائف للطائف أقرب :

١ — قال الأصفهانى(٤٧٦) : « وعكاظ نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال » .

---

(٤٧٦) بلاد العرب ٣١

٢ — قال ابن عبد ربه(٤٧٧) : « وعكاظ بين نخلة وبين الطائف نحواً من عشرة أميال » .

٣ — قال الأصمعى(٤٧٨) : « عكاظ نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال » .

٤ — قال الواقدى(٤٧٩) : « عكاظ بين نخلة والطائف ، وذو المجاز خلف عرفة ، ومجنة بمر الظهران » .

٥ — قال أبو عبيدة(٤٨٠) : « عكاظ نخل فيما بين نخلة والطائف إلى موضع يقال له الفتق وبه أموال ونخل لثقيف بينه وبين الطائف عشرة أميال »

٦ — قال ابن حجر(٤٨١) : « وهو نخل فى واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال ، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة عن طريق صنعاء اليمن » .

٧ — قال ابن اسحاق(٤٨٢) : « أنها فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال له الفتق بضم الفاء والمثناة بعدها قاف » .

٨ — قال ابن حبيب(٤٨٣) : « وعكاظ بين نخلة والطائف » .

---

(٤٧٧) العقد ٦ — ٨٩

(٤٧٨) معجم البلدان ٤ — ١٤٢

(٤٧٩) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤٨٠) معجم ما استعجم ٣ — ٩٥٩

(٤٨١) فتح البارى ٨ — ٦٧١

(٤٨٢) خزانة الأدب ٤ — ٣٦٠

(٤٨٣) المنمق ١٩

٩ — قال الفيروز أبادى(٤٨٤) : « سوق بصحراء بين نخلة والطائف » .

١٠ — قال ابن الأثير(٤٨٥) : « وكانت عكاظ بين نخلة والطائف » .

١١ — قال الألوسى(٤٨٦) : « وعكاظ : نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة زادها الله تعالى شرفاً ثلاث ليال » .

هذه الأدلة الإحدى عشر تزود من تأملها بثلاث ملاحظات هامة فى تحديد عكاظ :

الأولى : أن عكاظ فى نقطة بين مكة وبين الطائف للطائف أقرب .

الثانية : أن عكاظ فى نقطة بين نخلة وبين الطائف .

الثالثة : أن عكاظ فى نقطة تبعد عن الطائف بعشرة أميال أو مسيرة ليلة ونضيف قول الأزرقى الذى يجعل المسافة بين الطائف وبين عكاظ بريداً(٤٨٧) : « وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء فى عمل الطائف ، على بريد منها » لكى يقوى دلالة المسافة .

ومن الأدلة الهامة فى تحديد عكاظ ما قيل من أبيات شعرية تذكر طبيعة عكاظ نفسه أو أسماء أمكنة تحيط به من بعض جهاته ، والشعر فى الدلالة على تحديد الأماكن أدق عادة من أقوال أهل المعاجم ، خاصة إذا كان الشاعر يذكر

---

(٤٨٤) القاموس ٢ — ٣٩٦

(٤٨٥) الكامل ١ — ٥٩٠

(٤٨٦) بلوغ الأرب ١ — ١٩١

(٤٨٧) تاريخ مكة ١ — ٢١٠

هذه الأماكن لأنها مراتع قومه أو لأنه مر عليها منتجعاً داراً غير داره طلباً للغيث أو للميرة أو نحو ذلك ، والنصوص الشعرية التى سأستدل بها الآن لشاعرين يعرفان عكاظ وأرضها كما يعرفان أبناءهما ، أولهما حاكم عكاظ الأدبى النابغة الذبيانى ، وأى دلالة يمكن أن تكون أقوى من دلالة شعره فى عكاظ ، وثانيهما شاعر هوازن وفارس من فرسانها حضر أيام عكاظ ورأى قومه ينتصرون حيناً وينهزمون حيناً آخر فسجل انتصارهم يوم العبلاء ، يقول النابغة(٤٨٨) :

وبنو جذيمة حى صدق سادة غلبوا على خبت إلى تعشار
متكنفى جنبي عكاظ كليهما يدعو بها ولدانهم عرعار

يقول خداش بن زهير(٤٨٩) :

ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العبلاء خندف بالقياد
فقدتكم ولحظكم إلينا ببطن عكاظ كالإبل الغداد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

ووجه الدلالة من بيتى النابغة : أن لعكاظ جنبين ، والجنبان لا تكونان إلا لشعب أولاد ، وما أسلفنا ذكره من كثرة مايحضر سوق عكاظ يخرج كونه شعباً لأن الشعب لا يمكن أن يسعهم فيبقى كونه وادياً قائماً ، وتعضد ذلك أبيات خداش فى قوله « ببطن عكاظ » ، والهدف من هذا الاستنباط التأكد من أن عكاظ ليس صحراء كما توهم بعض أهل المعاجم مما أشرت إليهم آنفاً .

---

(٤٨٨) الجمهرة ١ — ٤٥ ، مقاييس اللغة ٤ — ٣٦

(٤٨٩) الإمتاع والمؤانسة ١ — ٢٢١

وحدث أن حج عيسى بن أحمد الرداعي منى صنعاء فقص رحلته بأرجوزة جميلة تعرض فيها لذكر مامر عليه من ديار وأماكن ومن ضمنها عكاظ وشرب وقران ، وهى الأماكن التى تهمنا فقال بعد أن ذكر أنه مر على (كلاخ) و (جلدان)(٤٩٠) :

فقلت لما ناب لى احتفاظى	والقلب فيه مثل الشواظ
سل الهوى عن قلبك المغتاظ	والعيس تطوى الأرض بالمظاظ
مشفقة من زاجر كظاظ	مسهلة فى الخبث من عكاظ
فانجردت بالرفق العصائب	عيدية مفعمة المناكب
تاركة (قُرّان) للمناقب	بحيث خط الميل كف الكاتب
و (شَرِبا) فى جنح ليل واقب	بكل محض حسن الضرائب

فقد انطلق الرداعي من (جلدان) إلى الخبت من عكاظ تجاه المناقب وذكر أنه ترك (قران) وترك (شربا) متوجهاً إلى المناقب (الريعان) التى لا تبعد كثيراً عن شرب وقران ، وقرنه (قران) و (شربا) فى نسق واحد حينما اتجه إلى (المناقب) يدل على أن عكاظ يقع فى مكان يقترب فيه هذان الواديان من بعض لاسيما وأن (شربا) و (قران) من عكاظ كما رأيت من نص الهمدانى ، وافترق هنى الجاسر والبليهد فى فهم وجه الدلالة كما بينت ذلك من قبل ، إلا أننى أتعجب من الشخين حينما أوردا أبيات الرداعى ، خاصة المقطع الذى يذكر فيه (شربا) و (قران) ، فأولهما أورده هكذا(٤٩١) :

---

(٤٩٠) صفة جزيرة العرب ٢٦٥

(٤٩١) موقع عكاظ ١٣

فانجردت بالرفق العصائب عيدية مفممة المناكب
تاركة (قران) للمناكب وشربا فى جنح ليل واقب

وثانيهما : أورده هكذا(٤٩٢) :

فانجردت بالرفق العصائب عيدية مفممة المناكب
بكل خف مستدير الجانب وحيث خط الميل كف الكاتب
تاركة (قران) للمناقب وشربا فى جنح ليل واقب

ولو أوردهما كما كانت فى كتاب (صفة جزيرة العرب) وكما أوردتها لشرخت وجه الدلالة عندهما ، ذلك لأن كليهما جعل (شربا) من عكاظ وأخرج (قزان) منه ، والعطف فى هذه الأرجوزة لابد أن يفيد الترتيب والتراخى وإلا لبطل مدلولها ، فالواو عنده بمنزلة (ثمّ) لأن الرداعى يترك البلد ثم يذكر مابعده عاطفاً بالواو ، ولو أورداها كما هى لكان (قران) قبل (شرب) أو على الأقل فى نقطة محاذية له وقريبة منه ، وحسب خريطتيهما فإن (شربا) قبل (قران) بمسافة بانت على خريطة الشيخ الجاسر رغم صغر حجمها ، ولئن وجدت عذراً للجاسر فى ذلك على أساس أنه أخذ الأرجوزة من طبعة (صفة جزيرة العرب) الأوربية التى قد تكون بعض أبيات الأرجوزة فيها مختلفة الترتيب عما هى عليه فى الطبعة التى رجعت إليها ، فلن أجد عذراً للشيخ محمد ابن بليهد لأنه هو الذى حقق وصحح الطبعة التى أخذت منها الأرجوزة مرتبة حسبما أوردتها .

---

(٤٩٢) صحيح الأخبار ٢ — ٢١٣

طريق الطائف : وبعد أن ثبت من أكثر النصوص أن عكاظ بين نخلة والطائف وجب أن نعرف طريق الطائف ، خاصة ذلك الذى يمر بنخلة مبتدئاً من مكة لكى نعرف أين موقع عكاظ المحتمل ، فالطريق من نخلة يمر على قرن المنازل (السيل الكبير) ثم يركب المناقب ثم يسهل يميناً فى اتجاه الطائف وليس يساراً لأن اليمنة أقصد وأسمح ، ولذلك نص القدماء على هذا الطريق ووصفوه ، يقول ابن رسته فى باب الطريق من مكة إلى الطائف بعد أن ذكر طريق نعمان(٤٩٣) : « وطريق آخر الطائف : تأخذ على بئر ابن المرتفع ثم إلى قرن المنازل وهو ميقات أهل اليمن للإحرام ومنها تعدل إلى الطائف » ويقول قدامة ابن جعفر (٤٩٤) : « ومن مكة طريق الطائف ثلاث مراحل من مكة إلى بئر المرتفع ، ومن بئر بن المرتفع إلى قرن المنازل قرية يحرم منها أهل اليمن تعدل منها إلى الطائف يمنة » .

الأمارات : وبجانب هذه الأدلة فثمة أمارات — وأعنى بها ماذكر من جبال وأودية وأعلام فى عكاظ نفسها أو على مقربة منها حتى ولو كان القرب نسبياً — ولهذه الأمارات نواح ثلاث .

الأولى : أمارات ورد ذكرها فى معاجم البلدان وكتب الأدب وذكرت على أنها فى عكاظ غير أنها لا تعرف الآن أو لا تعرف طبيعتها حتى يستفاد منها فى التعرف على موقع عكاظ كالأثيداء مثلا فأصحاب المعاجم لم يزيدوا على أن قالوا إنها محل يقام به سوق عكاظ أو نحو ذلك من القول ، وهذه الأمارات لا غناء لها فى الدلالة البته .

---

(٤٩٣) الأعلاق النفيسة ١٨٤

(٤٩٤) كتاب الخراج ١٨٧

الثانية : أمارات ذكرت على أنها فى عكاظ أو قرب عكاظ ولم تحدد مواقعها ، إلا أن التعرف على طبيعتها قد يفيدنا ولو قليلا وخير مثال لهذا النوع من الأمارات :

١ — شمطة : ذكرت المصادر أنها من عكاظ كما رأيت سابقاً ، والتصق اسمها باسم يوم من أيام الفجار وقع فيها وعرف بيوم شمطة ، ويسهم الشعر — حين تعجز المعاجم — فى تبيين طبيعة شمطة ويجعلها وادياً ، يقول خداش ابن زهير شاعر أيام عكاظ(٤٩٥) :

فعاركنا الكماة وعاركونا عراك النمر عاركت الأسودا
فولوا نضرب الهامات منهم بما انتهكوا المحارم والحدودا
تركنا بطن شمطة من علاء كأن خلا لها معزى شديدا
ولم أر مثلهم هزموا وفلوا ولا كذيادنا عنقا مذودا

ويقول دريد بن الصمة(٤٩٦) :

أتوعدنى ودونك برق شعر ودونى بطن شمطة فالغيام

فقول الشاعرين « بطن شمطة » يدلنا على أن شمطة واد ، وهو — مردوفا بأقوال المؤرخين أن شمطة من عكاظ — يدل على أن شمطة أحد روافد وادى عكاظ .

٢ — دخم أو رخم : ذكر هذا الاسم مقترنا بيوم شمطة ، ذكره الأصفهانى

---

(٤٩٥) الأغانى ١٩ — ٧٨
(٤٩٦) معجم ما استعجم ٣ — ٨٠٩

وابن حبيب والهمدانى على أنه رخم بالراء ، وذكره البكرى بالدال ، وقد ذكرنا ذلك فى موضع سابق لهذا الموضع إلا أننى أحب أن أضيف قول الهمدانى عن رخم هذا وإن لم يكن فيه مزيد من توضيح ، يقول[٤٩٧] : « وحضان وذات الهام والشطب ومرجم والمضم والرخم ووجرة وشبكة وانبطة والقارة ، وهذه مواضع الوحش والجن » ودلالة رخم أو دخم تتلخص فى أنه جبل على حظ من الضخامة بحيث تعتصم به بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ورجح الشيخ الجاسر أنه « لا يبعد أن يكون هو الجبل المسمى فى عهدنا بالصالح بقرب قرية (العرب) لعدوان » [٤٩٨] . أما أنا فأرجح أن يكون هذا الجبل أحد جبال السراة الضخمة الواقعة غرب الحوية أو شماليها الغربى .

٣ — الخدود: ذكر عرام أن عكاظ على دعوة منه[٤٩٩]، وقال عنه ياقوت[٥٠٠] : « الخدود : مخلاف من مخاليف الطائف ؛ وعن نصر : الخدود صقع نجدى قرب الطائف » ، وقال الصاغانى[٥٠١] : « الخدود : مخلاف من مخاليف الطائف » ونقل الزبيدى نص كلام الصاغانى وأشار إلى ذلك[٥٠٢] ، وقد رأى الجاسر « أنها تقع شمال عكاظ فيما بينه وبين منهل عشيرة . [٥٠٣] ، وأرى أنها تقع جنوب غربى « بس » .

---

(٤٩٧) صفة جزيرة العرب ١٢٤
(٤٩٨) موقع عكاظ ١٨
(٤٩٩) أسماء جبال تهامة ٢ — ٤٤٠
(٥٠٠) معجم البلدان ٢ — ٣٤٨
(٥٠١) التكملة ٢ — ٢٢٧
(٥٠٢) تاج العروس ٢
(٥٠٣) موقع عكاظ ١٨

٤ — جهار : هو صنم لهوازن بعكاظ فى سفح جبل وصفه ابن حبيب بأنه أطحل (أى بلون الطحال) قال (٥٠٣) : « وكان جهار لهوازن بعكاظ ، وكان سدنتها آل عوف النصريون وكانت محارب معهم فيه ، وكان فى سفح جبل أطحل » ونقل ياقوت هذا النص وعزاه إلى ابن حبيب (٥٠٤) ، وجبل كهذا لابد أن يكون متميزا ولا بد أيضاً أن يكون أول أمارة يفكر بها من أراد التعرف على موقع عكاظ .

٥ — العبلاء : جبيل من حجارة بيضاء تقع بجانب عكاظ كما رأيت سابقاً ، وهى لاشك من أوضح الأمارات التى تدل على موقع عكاظ ، والحكم على موقع عكاظ من أى عبلاء على إطلاقها أوقع الشيخ محمد بن بليهد فى خطأ ، ذلك لأنه خلط بين العبلاء وبين العبيلاء بالتصغير ، فالعبيلاء : عبلاء تقع بين جلدان والعقرب وقد ظنها الشيخ ابن بليهد العبلاء التى وقع فيها يوم من أيام عكاظ (٥٠٥) وهى موضع آخر قال عنها ياقوت بعد أن وصف العبلاء (٥٠٦) : العبيلاء تصغير العبلاء وقد تقدم اشتقاقه وهو موضع آخر ، قال كثير :

والعبيلاء منهم بيسار ... وتركن اليمين ذات النصال

ويقول البكرى (٥٠٧): العبيلاء تصغير الذى قبله (العبلاء) : اسم هضبة تلقاء العقيق ، قال كثير :

فالعبيلاء منهم بيمين ... وتركن العقيق ذات اليسار

---

(٥٠٤) المحبر ٣١٥
(٥٠٥) صحيح الأخبار ٢ — ٢١١
(٥٠٦) معجم البلدان ٤ — ٨١ — ٨٢
(٥٠٧) معجم ما استعجم ٣ — ٩١٩

وفى بلاد العرب أكثر من عبلاء ومن موضع يسمى بالعبلاء ، وأشهر هن عبلاء خثعم ، يقول الأصفهانى (٥٠٨) : « والحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء (وتبالة) إلى تخوم الشام » ، ويقول البكرى (٥٠٩) : « العبلاء بفتح أوله وإسكان ثانيه محدود : قد تقدم تحديدها فى ذكر اللعباء ، وسيأتى ذكرها فى رسم عكاظ ، وهى لخثعم ، وهناك كان ذو الخلصة بيتهم الذى كانوا يحجونه ، وتيل من العبلاء قال الراجز :

جاءت من العبلاء عبلا بتل .

وقال ياقوت (٥١٠) : « والعبلاء وقيل العبلات : بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت صنم ، وهى من أرض تبالة » .

وهناك عبلاء أخرى ، وهى عبلاء المرد ، والعبلاء التى قال عنها أبو عمرو: « إنها معدن الصفر فى بلاد قيس» (٥١١). وهناك عبلاء تعرف بعبلاء البياض. قال عنها الأصفهانى (٥١٢) . « عبلاء البياض من ناحية اليمين عن يمين الفلج والعقيق ، عليوية فى بنى عقيل ، تكاد ان تكون حجازية » وقال ابن الفقيه (٥١٣) : « عبلاء البياض موضعان من أعمال المدنية »

وهناك عبلاء زهو ، وهى من ديار بنى عامر ، قال الشنان بن مالك :

---

(٥٠٨) بلاد العرب ٣٨١

(٥٠٩) معجم ما استعجم ٣ — ٩١٨

(٥١٠) معجم البلدان ٤ — ٨٠

(٥١١) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٥١٢) بلاد العرب ٣٨١

(٥١٣) معجم البلدان ٤ — ٨٠

ولو شهدتنى أم سلم وقومها   بعبلاء زهو فى ضحى ومقيل [٥١٤]

وذكر كل من صاحب الأغانى وابن حبيب أن بالعبلاء سوقا يقصده الشعراء فى آخر العصر الأموى وأن ابن الدمينة كان ينشد شعره هناك حينما قتله مصعب بن عمرو [٥١٥] ، وسوق العبلاء هذا يحتمل أن يكون هو سوق عكاظ ويحتمل أن يكون سوق عبلاء خثعم ، ويميل الشيخ الجاسر إلى أن سوق عكاظ ربما كان يطلق عليه سوق العبلاء [٥١٦] ، هذا وقد تبين لى أن العبلاء جبيل أبيض أطول من قامة الرجل السامق قليلا رأيته بعينى بجنب الجبل الأطحل الذى كان عليه (جهار) صنم هوازن بعكاظ وسأفصح لك عنه حينما أحدد عكاظ إن شاء الله .

٦ — الحريرة : عرفت بيوم من أيام عكاظ (يوم الحريرة) وقد أوردنا ما قاله أصحاب المعاجم والمؤرخون عن موقعها من عكاظ وأنها ليست فى عكاظ نفسها ولكنها على مقربة منها مهب الجنوب ، ويضيف ابن حبيب إلى هذه الأقوال قولا له دلالته ومعناه وهو [٥١٧] : « الحريرة وهى حرة إلى جنب عكاظ مما يلى جنوبها ثم تقبل تريد مكة من مهب صباها حتى تنقطع دوين قرن » والشيخ الجاسر يرى أن الحريرة هى ما يسمى بجبل الخلص فى هذا العهد [٥١٨] ، أما الشيخ ابن بليهد فيرى أنها حرة تقع فى الشمال الشرقى من الموقع الذى مال

---

(٥١٤) نفس المصدر ٢ — ١٦٢

(٥١٥) أسماء المقتالين من الشعراء (نوادر المخطوطات) ٢ — ٢٧١ ، الأغانى ١٥ — ١٤٧

(٥١٦) موقع عكاظ ١٥

(٥١٧) المنمق ٢١٣

(٥١٨) موقع عكاظ : ١٧

إلى أنه عكاظ (٥١٩)، وكلا القولين يتعارض ووجه الدلالة فى قول ابن حبيب لسببين :

أحدهما : مدلول الظرف الذى أورده ابن حبيب بصيغة التصغير (دوين قرن) : يفيد قرب المسافة بين الحريرة وبين قرن ، وما اختاره الشيخان بعيد عن قرن .

ثانيهما : مدلول قول ابن حبيب (حتى تتقطع) : يفيد أن الحريرة أكثر من جبيل وأنها سلسلة حريرات أو جبيلات سود ، وضلع الخلص جبيل منفرد ، والحرة التى ظنها ابن بليهد موقع المعركة حرة صغيرة :

هذا ولنص ابن حبيب دلالتان أخراوان غير دلالة الظرف (دوين قرن) وغير قوله : (حتى تتقطع) وهما : أن الحريرة تقع جنوبى عكاظ وأن من أراد مكة يقبل من جهة مهب الصبا وهو الشرق إذا كان المسافر سالكا الطريق الذى يمر على قرن ، ولقد شاهدت هذه الحرة وطبقت عليها قول ابن حبيب وأقول غيره فانطبقت الأقوال عليها ، وسأذكر لك ذلك إن شاء الله فى مكانه الملائم .

الثالثة : أمارات قرنت مع عكاظ بطريقة أو بأخرى ، وهذه الأمارت معروفة ولا تزال تحتفظ بأسمائها القديمة ، ومن هذه الأمارات واديا شربك وقران وقد أوفيناها حقهما من القول قبل ، وهناك أمارات غيرها يستحسن أن نلقى الضوء على بعض منهن وهن :

١ — حضن : وهو الجبل المعروف بهذا الاسم الآن ويقع شرقى الطائف ،

(٥١٩) صحيح الأخبار : ٢ — ٢١٦

وقد أورده الهمدانى مقترنا بعكاظ فقال (٥٢٠) : « قران وشرب مكانان من أرض عكاظ ، وهذه المواضع من الجرداء ، ويضرب على مشرق هـذه المواضع جبل الحضن من المحجة على يوم وكسر » ثم أضاف : « وحضن عكاظ : جبل وفيه يقول الأعشى :

كخلقاء من هضاب الحضن

وقال الراجز :

لمـا بدا شمف بأعلى الشسى وحضن مثل قرا الزنجى »

وحضن هذا يضرب على مشرق الموضع الذى آراه عكاظ ، ويرى الشيخ حمـــد الجاسر أن حضن على مسافة يوم من المـكان الذى رآه موقعـا لعكاظ (٥٢١) ، والجاسر خبير بالمسافات والمراحل فقد ضرب آباط الإبل طلبا للعيش أو طلبا للعلم . ولـكن الهمدانى جعل المسافة بين حضن وبين المواضع التى ذكر أنها من عكاظ يوما وكسرا ، ففارق الـكسر هو ما يؤيد ما أذهب إليه.

وفى الجزيرة ثلاثة مواضـع تعرف بحضن ، قال الحموى (٥٢٢) . « باب حضن ثلاثة مواضع . بفتح الحاء والضاد معجمة مفتوحة أيضا ونون ، الأول . حضن جبل بين تهامة ونجد مشرف على نجد وكذلك قالوا : أنجد من رأى حضنا ، والثانى والثالث جبلان فى ديار بنى سلول بن صعصعة » ومن هنا تبين سبب إضافة الهمدانى حضنا إلى عكاظ ليميزه عن الحضنين الآخرين .

---

(٥٢٠) صفة جزيرة العرب ٢٦٦
(٥٢١) موقع عكاظ ١٦
(٥٢٢) المشترك وضعا ١٣٢ — ١٣٨

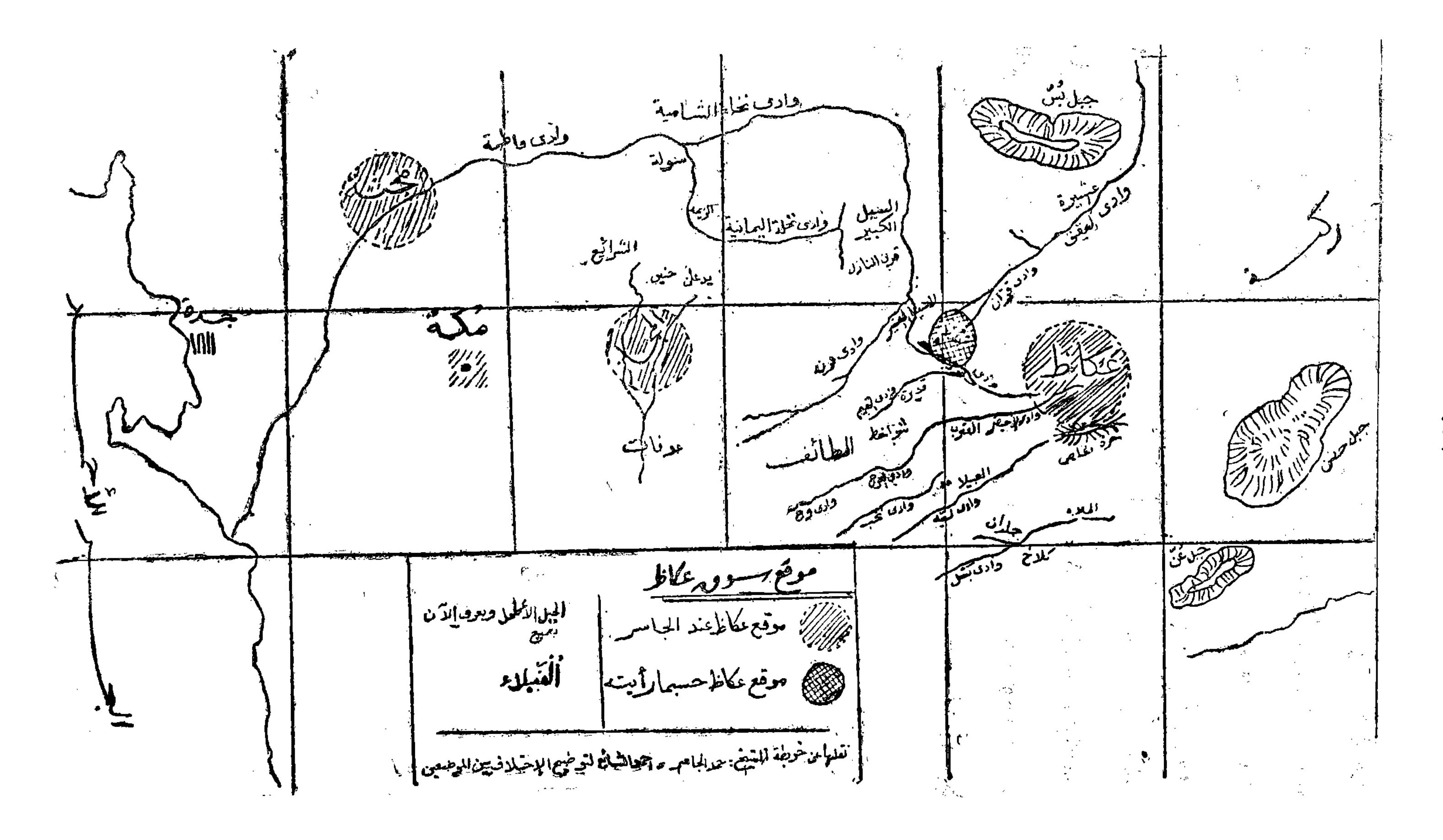
٢ — بس : جبل أسود مستطيل يشرف على (هشيرة) ، ولا يزال يعرف باسمه فى هذه العهد ، وقد ذكر عرام بن الأصبغ السلمى فقال (٥٢٣) : «وحذاؤه جبل آخر يقال له بس ، وفى أصله ماء يقال لها بقعاء لبنى هلال بئر كثيرة الماء ليس عليها زرع وحذاؤها أخرى يقال لها الخدود وعكاظ على دعوة منها» وقد سبق وأن خمنت أن موضع الخدود يقع جنوب غربى بس محاذية له وعكاظ الذى أراه يقع فى الجهة الجنوبية الغربية لجبل بس .

الاستنتاج :

من الأدلة التى سقتها ومن الجمع بين ما اختلف منها ومن مناقشتى لأدلة الشيخين ابن بليهد والجاسر مضافا إلى ذلك الإمارات التى تعرضنا لها ثم المسافة التى نصت عليها المصادر بين عكاظ والطائف وبين قرن المنازل وعكاظ سواء كانت المسافة بالميل أو بتقدير سير الرواحل تبين لى أن عكاظ يقع فى منطقة فسيحة وسهلة تستوعب أعدادا هائلة من الناس وفيها واديان أو أكثر شمال الحوية مع ميل قليل للغرب ، وجنوب غربى السيل الصغير ، وكانت القوافل منحدرة من المناقب آخذة ذات اليمين تمر بها أو على حرف منها ، وكان طريق السيارات القديم للمتجه من السيل الصغير إلى الطائف يغربها قريبا ، وتقع مغرب الشمس عن مطار الطائف القائم الآن ، وهى من الحوية على دعوة ومن الطائف مرحلة أو حوالى ثلاثين كيلو مترا ، وبقربها قريتان زراعيتان إحداها تسمى (ريحة) جديا عنها والثانيــة تسمى (رحابا) عنها مغرب الشمس ، ولو طبقنا الإمارات البارزة على هذا الموضع لا نطبقت ، فالحريرة التى تقع مهب الجنوب وتقبل تريد من مكة من مهب صباها : جبيلات سود مترابطة تشبه الحرة (بمعناها

(٥٢٣) أسماء جبال تهامة (نوادر المخطوطات) ٢ — ٤٠٤

الجغرافى أو الجيولوجى الحديث) عنه جهة الجنوب مع ميل قليل جدا للشرق ويأتى طرف الحوية وخط الاسفلت الآن بينها وبين عكاظ ، وهى على بعد لا يزيد عن بضع كيلو مترات ، أما العبلاء : فهو أعبل يقع فى غربية ، وهو قريب جدا من عكاظ ، وقد يمتد فيشمله ، وترى فى طرف هذا الموضع بقرب الجبل الأعبل جبلا أطحل حقا وهو عندى ذلك الجبل الأطحل الذى استند عليه (جهار) صنم هوازن ، ويعرف الآن بقميع (تصغير قم) وقد أوفيته بعيد الزوال ، ثم إن (حضن) يضرب عليه جهة مطلع الشمس على مسيرة يوم وكسر ، ويدخل فى هذا الموقع طرف وادى (شرب) الذى ينسرب ناحية الشرق كما يمتد عكاظ حتى يشمل طرف وادى (قران) الجنوبى .


موقع سوق عكاظ
موقع عكاظ عند الجاسر
موقع عكاظ حسبما رأيته
مكة
الطائف
عكاظ
جدة
وادي فاطمة
وادي نخلة الشامية
وادي نخلة اليمانية
السيل الكبير
عرفات
الشرائع
وادي قرن
جبل حضن
ركبة
البحر الأحمر

خاتمة

وفى الختام أرى لزاما على أن أزيل لبسا قد ينشأ فى بعض الأذهان نتيجة تحديدى لموقع عكاظ من أن عكاظ يقع فى نجد حسب قول بعض أصحاب المعاجم والمؤرخين ومن أنها تتصل ببلد تسمى ركبة كما قال ذلك عرام والخليل بن أحمد والبكرى وقد ذكرت هذه الأقوال آنفا ، أما أن عكاظ من نجد فهذه حقيقة لاتصطدم مع تحديدى لموقعها ذلك لأن هذا الموقع من نجد ، وبون شاسع بين تحديد نجد والحجاز السياسى وبين تحديدها الطبيعى ، وما يعنينا هو تحديدها الطبيعى الذى درج عليه أصحاب المعاجم وحددوا نجدا والحجاز وتهامة على ضوئه ، ذلك لأن مالفظته جبال السرة (وهى الحجاز) مسهلا شرقا فهو صقع نجدى ، وموقع عكاظ الذى رأيته مسهل شرقا من جبال السراة فهو نجدى ، والمؤرخون والجغرافيون العرب الأوائل حددوا نجدا هذا التحديد حتى جعل بعض منهم المدينة وبدرا ورهاطا من نجد ، وجعل بعضهم الطائف وبيشة وتربة منه أيضا ونصوا على أن الطائف وعكاظ وماحاذاها من مخاليف مكة النجدية، قال عمارة[524] : « والغور كل ما انحدر سيله مغربا ، فبذلك سمى الغور ،وكل ما أسهل مشرقا فهو نجد »وقال ابن الكلبي [525] :« الحجاز ماحجز بين اليمامة والعروض وفيما بين اليمن ونجد فصارت نجد مابين الحجاز إلى الشام إلى العذيب والطائف من نجد ، والمدينة من نجد » ، وقال ابن رسته[526] : « والطائف

---

(٥٢٤) معجم ما استعجم ١ — ١٤

(٥٢٥) نفس المصدر والجزء ١٠

(٥٢٦) الأعلاق النفيسه ١٨٤

مخلاف من مخاليف مكة ، وعمل مكة ممايلى نجدا : نجران وقرن والفتق وعكاظ والطائف وتربة وبيشة وتبالة والمجيرة وكتنة وجرسن والسراة » ، وروى عمر بن شبة عن رجال عن محمد بن عبد الملك الأسدى(٥٢٧) : « . وحدالحجاز الأول . بطن نخل وأعلى رمة وظهر حرة ليلى ، والثانى مما يلى الشام شغب وبدا ، والثالث مما يلى تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ . . . » ، وقال محمد بن سهل الأحوال (٥٢٨) : « تربة : من مخاليف مكة النجدية ، وهى الطائف وقرن المنازل ونجران وعكاظ وتربة وبيشة وتبالة والمجيرة وكتنة وجرش والشراء » ، وقال ابن خرداذبة(٥٢٩) : « مخاليف مكة بنجد : الطائف ونجران قال الشاعر :

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخى بأبوابها

وقرن المنازل قال الشاعر :

ألم تسأل الربع أن ينطقا بقرن المنازل قد أخلقا

والفتق وعكاظ والزيمة وتربة وبيشة وتبالة والمجيرة ونجة وجرش والسراة » وجميع هذه الأقوال تثبت (أو يستأنس بدلالتها) أن موقع عكاظ الذى رأيته من نجد وإن كان قريبا من الحجاز (جبال السراة) . أما ركبة التى قال عنها البكرى والخليل بن أحمد أن عكاظ تتصل بها فهى ليست بركبة المعروفة على ما هى عليه الآن ، أعنى أنها ليست تلك المفازة التى تستغرق الإبل أياما حتى تقطعها ، فهذه المفازة كانت تعرف بأسماء غير ركبة ، كانت ناحيتها الشمالية

---

(٥٢٧) معجم ما استعجم ١ — ١٠ وبلوغ الأرب ١ — ١٨٨

(٥٢٨) معجم ما استعجم ١ — ٣٠٩

(٥٢٩) المسالك والممالك ١٣٣

تعرف بوجرة التى اشتهرت بظبائها التى ألهمت الشعراء فشبهوا عشيقاتهم بها ، يقول أمرؤ القيس (٥٣٠) :

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى   بناظرة من وحش وجرة مطفل

ويقول النابغة الذبيانى (٥٣١) :

من وحش وجرة موشى أكارعه   طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

وتعرف ناحيتها الجنوبية بالسى ، ذكر ذلك الراجز بقوله (٥٣٢)

لما بدا شعف بأعلى السى   وحضن مثل قرا الزنجى

ولكن الاسم امتد حتى شمل هـذه المفازة وقد رأينا أمثلة لاتساع الناس بالمسميات حتى يمتد المسمى إلى بقاع أخرى لم يك ذلك المسمى أول الأمر يشملها فيما سبق من قول ،وحيث أن البكرى أحد من ذكر اتصال عكاظ بركبة فدعنا نرى وصف ركبة عنده فقوله فيها هو الفصل ، يقول : (٥٣٣) « ركبة : قال أبو داود فى كتاب الشهادات : ركبة موضع بالطائف ، قال غيره... على طريق الناس من مكة إلى الطائف ، وروى مالك فى الموطأ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لبيت بركبة أحب إلى من عشرة أبيات بالشام . وروى الحربى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه جيشا إلى بنى العنبر فوجدوهم بركبة من ناحية الطائف . ومزيدا من الإيضاح دعنا نر تحديد ركبـة عند غير البكرى حتى يستقر فى الأذهان أن ركبة تلك ليست هى ركبة اليوم (المفازة الواسعة) ، قال

---

(٥٣٠) الديوان ١٤٩

(٥٣١) الديوان ٧

(٥٣٢) صفة جزيرة العرب ٢٦٦

(٥٣٣) معجم ما استعجم ٢ — ٦٦٦

ياقوت (٥٣٤) : « قال ابن بكير : هى بين مكة والطائف ، وقال القعنبي : هو واد من أودية الطائف » وبعد أفنجد بعد قولى الرجلين ريباً فى أن ركبة ليست هى المغازة المعروفة اليوم وإنما هى اسم مكان قريب من الطائف أو بين مكة والطائف تتصل بعكاظ الذى رأيته ، وهذا مما يؤيد رأينا .

وأخيرا ، فهذا جهد احتملته بحثا عن الحقيقة ومجردا من دوافع أخرى ، فإن وفقت فهو حسبي وإلا فأرجو أن يقدر لى القارئ هذا الجهد ، والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

(٥٣٤) معجم البلدان ٣ — ٦٣

أسماء المصادر والمراجع

آثار البلاد وأخبار العباد : للقزويني ، بيروت ١٣٨٠

الأزمنة والأمكنة : للمرزوقي ، حيدر أباد ١٣٣٢

أساس البلاغة : للزمخشري ، مطبعة الشعب ، القاهرة ١٩٦٠

أسماء جبال تهامة : لعرام بن أصبغ السلمي ، ضمن نوادر المخطوطات ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٧٣

أسماء المغتالين من الأشراف: لمحمد بن حبيب، ضمن نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٧٣ .

أسواق العرب : للأستاذ سعيد الأفغاني ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٣٧٩

الاشتقاق : لابن دريد ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ١٣٧٨

الإصابة : لابن حجر ، الجزء السادس ، القاهرة ١٣٣٢

الاعتصام : للشاطبي ، القاهرة

الأعلاق النفسية : لابن رستة ، ليدن ١٨٩١

الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة بولاق

الإكليل : للهمداني ، الجزء الثامن ، تحقيق : انستانس ماري الكرملي ، بغداد ١٩٣١

أمالي المرتضى : للشريف المرتضى ، القاهرة ١٣٧٣

الأمالى والنوادر : لأبى على القالى ، طبعة بولاق ١٣٢٤

الإمتاع والمؤانسة : لأبى حيان التوحيدى ، الجزء الأول ، تحقيق : الدكتور أحمد أمين ، بيروت .

أمثال الضبي : للضبي ، طبع الجوائب

أنساب الأشراف : للبلاذرى ، الجزء الأول ، تحقيق : الدكتور محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ .

البداية والنهاية : لابن كثير ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٥١

بلاد العرب : للاصفهانى : تحقيق الشيخ حمد الجاسر .

بلاغات النساء لابن طفيور ، القاهرة .

بلوغ الأرب : للألوسى ، تحقيق . بهجت الأثرى ، القاهرة ١٣٤٢

البيان والتبيين : للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة ١٣٦٧

تاج العروس . للزبيدى

تاريخ ابن خلدون : الجزء الثانى ، بيروت ١٩٦٧ .

تاريخ الطبرى : لابن جرير الطبرى الجزء الثانى من السلسلة الثانية ، تحقيق : دى جوج ، ليدن ١٩٦٤ .

تاريخ الطبرى : لابن جرير الطبرى ، الجزء الثامن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف .

تاريخ مكة : للأزرقى ، تحقيق رشدى ملحس ، مكة المكرمة .

تاريخ اليعقوبى : لليعقوبى : دار صادر ، بيروت ١٣٧٩ هـ .

تفسير ابن جرير : لابن جرير الطبرى ، الجزء الثانى والثالث ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٣٢٤ .

تفسير ابن كثير : لابن كثير ، الجزء الأول .

تفسير البيضاوى : للإمام البيضاوى ، القاهرة ١٣٨٠ .

تهذيب تاريخ ابن عساكر : لبدران الجزء الرابع

التكملة : للصاغانى الجزء الثانى .

ثمار القلوب : للثعالبي ، القاهرة ١٩٦٥ م

الجمهرة : لابن دريد ، الجزء الثالث طبعة حيدر أباد ١٣٤٥ .

جمهرة أنساب العرب : لا بن حزم الظاهرى ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الجزء السابع القاهرة ١٣٦٦

خزانة الأدب : لعبد القادر البغدادى ، الجزء الرابع تحقيق تيمور باشا ، ١٣٤٧ .

الدر النثير : للسيوطى ، حاشية على النهاية فى غريب الحديث لا بن الأثير

الدرة الفاخرة : للأصفهانى .

دلائل النبوة . للبيهقى ، الجزء الثانى ، تحقيق . عبد الرحمن محمد عثمان ، القاهرة ١٣٨٩ هـ

دلائل النبوة : لأبى نعيم الأصبهانى ، حيدر أباد ١٣٢٠

ديوان الهذليين : للسكرى ، تحقيق : أحمد الزين ، الجزء الأول والثانى القاهرة ١٣٨٤ .

الروض المعطار : للحميرى ، نسخة مكتبة عارف حكمت عن [مجلة العرب فى ملحق الجزء الثالث .

ريحانة الألباء : لشهاب الدين الخفاجى، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح الحلو، القاهرة ١٣٨٦

سوق عكاظ : للدكتور عبد الوهاب عزام ، دار المعارف ١٣٦٩

سيرة ابن هشام : لابن هشام ، تحقيق : الدكتور مصطفى السقا ورفاقه ، القاهرة ١٣٧٥

السيرة النبوية : لابن كثير ، تحقيق : الدكتور مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ١٣٨٤

شرح الحماسة . للمرزوقى ، الجزء الثالث ، تحقيق : أحمدأمين وعبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٨٨

شرح الحماسة : للتبريزى ، الجزء الثالث، تحقيق . الدكتورة عبده عزام طبعة دار المعارف .

شرح ديوان جرير : لابن حبيب ، الجزء الثانى ، تحقيق : الدكتور نعمان طه ، القاهرة ١٩٧١ .

شرح المقامات : للشريسى ، الجزء الرابع ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة .

الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤

صبح الأعشى : للقلقشندى ، الجزء الأول والثانى ، القاهرة ١٣٨٣

الصحاح :للجوهرى الجزء الثالث ، تحقيق: الشيخ أحمد عبد الغفور عطار القاهرة ١٣٧٦

صحيح الأخبار : للشيخ محمد بن بليهد النجدى ، الجزء الثانى ، تحقيق : محيى الدين محمد عبد الحميد القاهرة

صحيح البخارى : للإمام البخارى ، الجزء السادس ، القاهرة

صفة جزيرة العرب : للهمدانى ، تصحيح : الشيخ محمد بن بليهد النجدى ، القاهرة ١٩٠٣

طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحى ، طبعة ليدن ١٩١٣

العقد الفريد : لابن عبد ربه ، تحقيق : سعيد العريان ، القاهرة ١٣٧٠

العين : للخليل بن أحمد الفراهيدى ، الجزء الأول ، تحقيق : عبد الله درويش ، بغداد ١٣٨٦

عيون الأخبار : لابن قتيبة ، الجزء الثانى ، دار الكتب ١٣٤٣

غرائب القرآن : للقمى النيسابورى ، الجزء الثالث ، حاشية على تفسير ابن جرير الطبرى ، بولاق ١٣٢٤

الفاخر : للمفضل بن سلمة القاهرة

فتح البارى : للحافظ ابن حجر : الجزء الثامن ، القاهرة

فى منزل الوحى : للدكتور محمد حسين هيكل ، القاهرة

القاموس : للفيروز أبادى

الكامل فى الأدب : للمبرد ، الجزاء الأول ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٣٧٦

الكامل فى التاريخ : لابن الأثير ، الجزء الأول والثانى دار صادر بيروت ١٣٨٥

الكشاف : للزمخشرى ، الجزء الأول ، القاهرة .

كتاب المعمرين : للسجستانى : دار السعادة ١٣٢٣

لسان العرب : لابن منظور :

لطائف المعارف للثعالبي : تحقيق: إبراهيم الأبيارى وحسن كامل الصيرفى ، القاهرة ١٣٧٩

مثير العزم الساكن فى فضائل البقاع والأماكن : لابن الجوزى مخطوطة بدار الكتب الظاهرية (أدب ٤٦) الكراس الخامس عشر حسب أسواق العرب

المجاز بين اليمامة والحجاز : الشيخ عبد الله بن خميس .

مجمع الأمثال : للميدانى ، تحقيق : محيى الدين محمد عبد الحميد ، القاهرة ١٣٧٩ .

المحبر : لابن حبيب ، تحقيق : ايلزه ليختن شتيتر ، حيدر أباد ١٩٤٢

المحكم : لابن سيدة ، الجزء الأول

المختلف والمؤتلف : للآمدى ، تحقيق : عبد الستار فراج ، القاهرة

مروج الذهب : للمسعودى ، تحقيق : أطلس ، القاهرة .

المسالك والممالك : لابن خرداذبة ، طبعة أوروبية ١٨٨٩

المشترك وضعاء المختلف صقعا : لياقوت الحموى ، طبعة أوروبية ١٨٤٦

المصباح المنير : للفيومى ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٣٠٢

المعانى الكبير : لابن قتيبة ، الجزء الثانى ، حيدر أباد ١٣٦٨
معجم البلدان : لياقوت الحموى ، الجزء الأول والرابع ، بيروت ١٣٧٤
معجم الشعراء : للمرزبانى ، تحقيق : عبد الستار فراج ، القاهرة ١٣٧٩
معجم ما استعجم : للبكرى، تحقيق : الدكتور مصطفى السقا القاهرة ١٣٦٤
المغازى : للواقدى ، الجزء الأول ، تحقيق : الدكتور مارسدن جونس ، اكسفورد ١٩٦٦
مقاييس اللغة : لابن فارس ، الجزء الرابع ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٦٩
المنمق . لمحمد بن حبيب ، تحقيق . خورشيد فاروق ، حيدر أباد ١٣٨٤
الموشح . للمرزبانى ، القاهرة ١٣٤٣
موقع سوق عكاظ . للشيخ حمد الجاسر ، ملحق مجلة العرب ، الجزء الثالث .
موقع سوق عكاظ : للباحث ، طبع فى جريدة عكاظ الأسبوعية .
نبذة من كتاب الخراج: لقدامة بن جعفر ،ضمن كتاب المسالك والممالك.
لابن خرداذبة ، طبعة أوروبية ١٨٨٩
نزهة المشتاق . للإدريسى
النقائض . لأبى عبيدة ، ليدن ١٩٠٥
نهاية الأدب فى معرفة أحوال العرب . للنويرى ، الجزء الخامس عشر ، القاهرة ١٣٤٢
النهاية فى غريب الحديث . لمجد الدين بن الأثير ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٣١١

الفهرس

مطبعة التقدم

٤٤ شارع الوارى بالمنيرة ت ٨٤١٤٢١

رقم الإيداع ٢٠٥٠/٧٧